(نظرات لغوية إجمالية في تراثنا التفسيري:
تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير رحمه الله
أنموذجا)

بحث مقدم
إلى المؤتمر العلمي الأول
تجديد العلوم العربية والإسلامية بين الأصالة والمعاصرة
المنعقد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بدسوق
جامعة الأزهر ٢٠/٣/٢٠٢١

إعـــــداد
الدكتـــــور
أحمد حامد محمد سعيد
أستاذ التفسير وعلوم القرآن الكريم
بكلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

وبعد

فمن الأمور المسلمة لدينا -جميعا- أن تراثنا كله أصل راسخ رسوخ الجبال، ثري بالعطاء وقابل للتجديد... دون مس لثوابته من قريب أو بعيد... وهو في وسمه هذا يسهم في علاج قضايا مستجدة، فرضت علينا، ولم تكن في عهد من قبلنا... ولا يمكننا أن نقف حيالها مكفوفي الأيدي قاصري الفكر... حتى لا نتهم -أو يتهم تراثنا- بالجمود أو الركود...

ومن هنا كان لزاما علينا بين الحين والحين أن ننظر فيه ونقرأه لنقتبس منه ما يلائم واقعنا، ويثري حياتنا، وينير فكرنا، ويغذي عقولنا، ويضمن نهضتنا، ويجدد ديننا، ويجعلنا نزداد تمسكا به وحبا له وحرصا عليه...

وهذا ما يجسده مؤتمرنا المبارك، ذاكم المؤتمر العلمي الدولي الأول لكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بدسوق، والذي جاء تحت عنوان (**تجديد العلوم العربية والإسلامية بين الأصالة والمعاصرة**) والذي سيعقد -بإذن الله ﷻ- في السابع من شعبان ١٤٤٢هـ الموافق ٢٠ من مارس ٢٠٢١م بمقر الكلية بدسوق.

وبعد أن استخرت الله ﷻ فيما يتعلق بمحاور قسم التفسير أردت أن أسهم في مؤتمرنا هذا ببحث تحت عنوان: (**نظرات لغوية إجمالية في تراثنا التفسيري: تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير رحمه الله أنموذجا**) وقد جاء ضمن المحور السابع، وهو القراءات الحداثية للتراث التفسيري.

وللبحث -كسائر الأبحاث- أهمية، وأهداف، وخطة، ومنهج:

أما من حيث الأهمية:

فإن أهميته تكمن في أصالة تراثنا العربي والإسلامي، وما يندرج تحته من علوم شتى في مجالات متعددة، لا يمكن حصرها أو استيفاؤها...كان لها -ولا يزال- أثرها البناء في نفوسنا وأفهامنا... وكون هذا التراث قابلا للتجديد وملاءمة كل زمان ومكان... فهو -مع أصالته- مرن جدا ومعطاء دائما... أينما قصدته أفاد، وحيثما أردته أجاد... وعليه فلا يمكننا الاستغناء عنه، أو استبداله، أو إهماله، أو التفريط فيه... وإنما دورنا المحافظة عليه، والتأمل فيه، والإفادة منه عبر جميع الأجيال، وعلى مر العصور وكر الدهور...

وهذا ما قصدناه من بحثنا... وبغيتنا من مشاركتنا؛ حيث يكشف البحث عن أمور لغوية عديدة اكتظ بها تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله، وأبان عن أساس متين اعتمد عليه اعتمادا كبيرا، ربما لم يقف عليه البعض باعتبار تصنيفه أصلا أصيلا من مصنفات التفسير بالمأثور، ومن هنا كانت أهمية هذا الموضوع الجديد الفريد.

وأما من حيث الأهداف: فنذكر منها:

- بيان أصالة التراث -عموما- ولا سيما التفسيري.
- بيان أن التراث يمكن تجديده، دون المساس بركائزه وقواعده.
- بيان مرونة التراث، وملاءمته لكل زمان ومكان.
- إبراز نظرات لغوية إجمالية في تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله.
- الاستدلال على أن تصنيف كتب التفاسير لا يعني خلوها من أصل من أصولها، وهو لغتنا العربية.
- بيان أن للمفسرين في شتى العلوم جهودا مذكورة ومشكورة.

وأما عن الخطة:

فقد تألف البحث من مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة.

أما المقدمة: ففيها أهمية الموضوع، وأهدافه، وخطته، ومنهجه.

وأما التمهيد: ففي التعريف بمفردات عنوان البحث.

وأما المبحث الأول: ففي التعريف بالمؤلِّف والمؤلَّف.

وأما المبحث الثاني: ففي الأمور التي أسهب فيها الحافظ ابن كثير رحمه الله وأكثر.

وأما المبحث الثالث: ففي الأمور التي أوجز فيها الحافظ ابن كثير رحمه الله واختصر.

وأما الخاتمة: ففي أهم النتائج والتوصيات، ثم فهرس محتويات البحث.

وأما عن المنهج:

فقد قام البحث على المنهج الاستقرائي الإجمالي لمعظم تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله، وإلقاء نظرات إجمالية على الأمور اللغوية فيه، ثم ذكر نماذج تطبيقية موجزة -لئلا نخل بالشروط المطلوبة للبحث- والتي تنوعت وتعددت... فشملت علم النحو وعلم الصرف وعلم البلاغة وعلم الإعراب والاستشهاد بالشعر في مواطن كثيرة... وغير ذلك مما يعنى به أهل اللغة أنفسهم.

وأخيرا: الله جل جلاله أسأل أن يوفقني فيما قصدت، وأن ينفع بما كتبت... وأن يقدر له القبول، وأن يهديني سواء السبيل... إنه بكل كفيل جميل، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وما من كاتب إلا سيبلى ... ويبقي الدهر ما كتبت يداه

فلا تكتب بخطك غير شيء ... يسرك في القيامة أن تراه

وصلى الله وسلم وبارك وأنعم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

تمهيد

التعريف بمفردات عنوان البحث

بادئ ذي بدء نود أن نومئ إلى أن الباحثين قد جرت عادتهم أن يذكروا بين يدي أبحاثهم تجلية لمفردات عنوان البحث الذي هم بصدد إعداده، والمفردات التي يتضمنها عنوان بحثنا مجملة هي: (**نظرات، ولغوية، وإجمالية، وتراثنا التفسيري، وتفسير القرآن العظيم، والحافظ ابن كثير رحمه الله، وأنموذج**)، وها نحن -أولاء- نعرض لبيان ذلك الإجمال وتوضيحه -بعون الله تعالى- فيما يلي:

فكلمة نظرات: جمع نظرة، ومادة (نَظَرَ) النُّونُ وَالظَّاءُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ، يَرْجِعُ فُرُوعُهُ إِلَى مَعْنًى وَاحِدٍ، وَهُوَ تَأَمُّلُ الشَّيْءِ وَمُعَايَنَتُهُ، ثُمَّ يُسْتَعَارُ وَيُتَّسَعُ فِيهِ، فَيُقَالُ: نَظَرْتُ إِلَى الشَّيْءِ أَنْظُرُ إِلَيْهِ، إِذَا عَايَنْتَهُ[1]، وَنَظَرْتُ فِي الْأَمْرِ: تَدَبَّرْتُ[2]، والنَّظَرُ: الفِكْرُ فِي كُلِّ شَيْءٍ تُقَدِّرُه وتَقِيسُه[3]، والنَّظَرُ وَالنَّظَرَانُ -بِفَتْحَتَيْنِ- تَأَمُّلُ الشَّيْءِ بِالْعَيْنِ[4].

وعلى هذا فالمراد من النظرات هو: المعاينة -أولا- والتأمل والفكر والتدبر -بعد ذلك- باعتبار أنها كلها لازمة عن المعاينة.

ولغوية: نسبة إلى اللغة، والمراد: ما يتعلق بعلوم اللغة كالنحو والصرف والبلاغة وأصول اللغة، وغير ذلك...

---

[1] معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٥/٤٤٤.

[2] المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للفيومي ٢/٦١٢.

[3] المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده ١٠/١٤.

[4] مختار الصحاح للرازي ١/٣١٣.

وإجمالية: نسبة إلى الإجمال، ومعناه: الإيجاز والاختصار، يقال: أجمل الكلامَ، وأجْمَل في الكلام: سَاقَهُ مُوجَزاً... ومُجْمَل القول: مختصر موجز، ويقال: إجمالاً، وبالإجمال، وبوجه الإجمال، وعلى الإجمال: بإيجاز وبصورة عامَّة[١].

وتراثنا: المراد منه: كل ما خلَّفه السَّلف من آثار علمية وفنية وأدبية، سواء مادية، كالكتب والآثار وغيرها، أم معنوية، كالآراء والأنماط والعادات الحضاريّة المنتقلة جيلاً بعد جيل، مما يعتبر نفيسًا بالنسبة لتقاليد العصر الحاضر وروحه، مثل: التُّراث الإسلامي والإنساني والأدبي والثَّقافي والشَّعبي[٢].

والتفسيري: نسبة إلى التفسير، وهو العلم الذي (يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله بقدر الطاقة البشرية)[٣]، ووصف التراث بالتفسيري يخرج ما عداه من أنواع التراث الأخرى، ويدل على أن مجال بحثنا هو كتب التفسير، وعرض نموذج منها.

وتفسير القرآن العظيم والحافظ ابن كثيررحمه الله: سيأتي التعريف بهما في المبحث الأول -بإذن الله تعالى-

وأنموذج: هو المِثالُ الذي يُعمل عليه الشيءُ كالنَّموذج[٤]، ونعني به المؤلف المذكور للحافظ ابن كثيررحمه الله، وهو الذي وقع عليه الاختيار ليكون محل نظراتنا اللغوية الإجمالية، وهو تفسير القرآن العظيم.

---

[١] معجم اللغة العربية المعاصر للدكتور/ أحمد مختار عبد الحميد عمر وآخرين ٣٩٧/١، ٣٩٨.

[٢] معجم اللغة العربية المعاصر ٢٤٢١/٣ بتصرف يسير.

[٣] مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني ٣/٢.

[٤] المعجم الوسيط، تأليف مجمع اللغة العربية بالقاهرة ٣١/١.

المبحث الأول

التعريف بالمؤلِّف والمؤلَّف

أولا– التعريف بالمؤلِّف، وسنوجز التعريف به فيما يلي:

●اسمه ونسبه:

هو إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء ... عماد الدين أبو الفداء القرشي الشافعي[١]، فقيه المفسرين، ومفسر المحدثين.

●مولده ونشأته:

ولد بقرية شرقي بصرى من أعمال دمشق، سنة إحدى وسبعمائة، ونشأ رحمه الله في بيت متدين، فقد كان والده خطيبا، وكان ذلك له الأثر الكبير في نبوغه...، تفقه على الشيخين برهان الدين الفزاري، وكمال الدين بن قاضي شهبة، ثم صاهر الحافظ أبا الحجاج المزي ولازمه، وأخذ عنه، وأقبل على علم الحديث، وأخذ الكثير عن ابن تيمية، وقرأ الأصول على الأصفهاني، وسمع الكثير، وأقبل على حفظ المتون، ومعرفة الأسانيد والعلل والرجال والتاريخ، حتى برع في ذلك وهو شاب[٢].

●سماته وأخلاقه:

حظي الحافظ ابن كثير رحمه الله بصفات عديدة، وسمات شتى، لا تعد ولا تحصى ولا تستقصى، وكلها تدل على دماثة خلقه، وجميل مناقبه، وكرم شمائله، وعذوبة خلاله، وهذه وغيرها الكثير والكثير لا يتصف بها إلا العلماء الأخيار، والمتفردون الكبار.

---

[١] طبقات المفسرين للداوودي ١١١/١، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال للمزي٦٤/١، وسير أعلام النبلاء للذهبي ٢٩/١.

[٢] المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي لابن تغري بردي ١٧٧/١، وطبقات المفسرين ١١٢/١.

ومن أهم هذه السمات والأخلاق:

●**الحفظ**: فقد حفظ القرآن الكريم وهو في الحادية عشرة من عمره، كما صرح بذلك في تاريخه[١]، وحفظ

التنبيه في الفقه الشافعي، وعرضه سنة ثماني عشرة، وحفظ مختصر ابن الحاجب في أصول الفقه[٢]، وحفظ المتون المتنوعة في العلوم؛ ولذلك وصفه عدد من العلماء بحفظ المتون، فقال شيخه الذهبي﵀: (ويحفظ جملة صالحة من المتون والرجال وأحوالهم، وله حفظ ومعرفة)[٣]، وقال عنه تلميذه ابن حجي﵀: (كان أحفظ مَن أدركناه لمتون الأحاديث، وأعرفهم بجرحها ورجالها، وصحيحها وسقيمها، وكان أقرانه وشيوخه يعترفون له بذلك)[٤].

●**الاستحضار**: ومعناها أن الإنسان حين يريد أن يتحدث أو يدون فلا يكون بحاجة إلى إعداد أو تحضير أو

مذاكرة، فلا تعوزه الحجة، ولا يعييه الدليل، فهو يمتاز بقوة الذاكرة، وحضور البديهة، وقلة النسيان أو عدمه، وهذه السمة منحة إلهية، وهبة ربانية، يهبها الله من يشاء من عباده، وقد كان شيخنا ابن كثير﵀ يستحضر المتون والكتب والعلوم حتى لفت نظر المحققين والمحدثين، فهو ينقل من مصادر عدة، ولكنه يضع المعلومات بصيغته وأسلوبه

---

[١] البداية والنهاية لابن كثير ١٤/١٥٠- ٣١٢.

[٢] إنباء الغمر بأبناء العمر لابن حجر ١/٣٩، وشذرات الذهب لابن العماد ٦/٢٣١، والمنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي ١/٤١٦، وابن كثير الدمشقي للدكتور محمد الزحيلي ص:١١٩.

[٣] المعجم المختص بالمحدثين للذهبي ص:٥٦، والمنهل الصافي ٢/٤١٦.

[٤] طبقات المفسرين ١/١١١، والدارس في تاريخ المدارس للنعيمي ١/٣٦.

الخاص به، مما يرجح أنه كان يكتب ويصنف من ذاكرته وحافظته، ويتصرف بذلك حسب مقتضى الحال والمقام[١].

- **خفة الروح**: وهذه من الصفات الحسنة للإنسان -عامة-، ومن عوامل التفوق والنجاح في التدريس

والوعظ -خاصة-، وتدل على سماحة النفس، والاهتمام بالطلاب، والتخفيف عنهم، والترويح في التدريس[٢]، قال الحافظ ابن حجر﵀ عن هذه السمة والتي قبلها: (وكان كثير الاستحضار، حسن المفاكهة)[٣].

- **الفَهْم الجيد**: وهذه الصفة -أيضا- من المنح الإلهية للإنسان، ومن التوفيق الرباني له، وتتأثر بالعوامل

المكتسبة عن طريق الإخلاص، والتقصي والدراسة، والاستيعاب والاجتهاد، وتحري الدقة العلمية؛ مما تساعد صاحبها -بفضل الله تعالى وتوفيقه- على الفهم الجيد، والإدراك الصحيح، والاستنتاج المقبول[٤]؛ ولذلك يقول عنه تلميذه ابن حجي﵀: (وكان فقيهًا جيد الفهم، صحيح الذهن)[٥].

- **الاهتمام بالشعر ونظمه**: وقد كان فيه بارعا، ومن يقرأ تفسيره -قط- يقف على ذلك جيدا، فقد أكثر منه لدرجة أنه لا يختلف عن اللغوي الشاعر - وسيتجلى لنا ذلك في المبحثين الثاني والثالث أيما جلاء- كما أنه كان يمتاز

---

[١] ابن كثير الدمشقي ص:١٢١.

[٢] ابن كثير الدمشقي ص:١٢٣.

[٣] الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر١/٤٤٥.

[٤] ابن كثير الدمشقي ص:١٢٣.

[٥] طبقات المفسرين ١/١١١.

بنظم الشعر -أيضا- ومن ذلك: ما ذكره الحافظ ابن حجر رحمه الله عنه أنه قال:

تمرّ بنا الأيام تترى وإنما ... نساق إلى الآجال والعين تنظر

فلا عائد ذاك الشباب الذي مضى ... ولا زائل هذا المشيب المكدر[١].

- **الالتزام بالحديث والسنة**: وهذه من أبرز صفات شيخنا الحافظ رحمه الله فقد كان حريصًا على التزام السنة، والدعوة إلى اتباع السلف، وهو ما يبدو جليا عند مطالعة مؤلفاته وكتبه؛ ولا غرابة في ذلك فهو المحدث الفقيه الحافظ لأحاديث الرسول ﷺ[٢].
- **حسن الخلق**: فقد كان رحمه الله يلتزم بالفضائل والقيم، وسعة الصدر، والحلم، والصداقة المخلصة، والتقدير لشيوخه؛ فقد ترجم لعدد كبير منهم في تاريخه، وأثنى عليهم خيرًا، وعدد مناقبهم، وأثبت فضائلهم، واعترف بالأخذ عن الأساتذة، وحسن الصحبة للزملاء والمعاصرين[٣].

وهذا غيض من فيض... يوقفنا على ما كان يتمتع به شيخنا من سمات وصفات، ومحامد وأخلاق.

- **ثناء العلماء عليه:**

أثنى على شيخنا رحمه الله علماء كثيرون -مشائخ وتلاميذ- وقد امتلأت بطون الكتب بذلك مما يعجزنا حصره، ولذا فإننا نقتبس جملة مما ذكروه -وهو أهل لكل ما قيل فيه-:

---

[١] شذرات الذهب ٦٨/١، وإنباء الغمر ٤٠/١.

[٢] ابن كثير الدمشقي ص:١٢٤.

[٣] ابن كثير الدمشقي ص:١٢٦.

قال الإمام الذهبي رحمه الله: (الإِمَام الْفَقِيه الْمُحدث الأوحد البارع، فَقِيه متقن، ومتحدث متقن، ومفسر نقال، يدْرِي الْفِقْه وَيفهم الْعَرَبيَّة وَالْأُصُول، ويحفظ جملَة صَالِحَة من الْمُتُون وَالتَّفْسِير وَالرِّجَال وأحوالهم، وَلَهُ حِفْظٌ وَمَعْرِفَةٌ)[١].

وقال ابن تغري بردي رحمه الله: (الشيخ الإمام عماد الدين أبو الفداء... جمع وصنف، ودرس وحدث وألف، وكان له اطلاع عظيم في الحديث والتفسير والفقه والعربية، وغير ذلك)[٢].

وقال تلميذه الحافظ شهاب الدين ابن حجي رحمه الله: (كان أحفظ من أدركناه لمتون الأحاديث، وأعرفهم بتخريجها ورجالها وصحيحها وسقيمها، وكان أقرانه وشيوخه يعترفون له بذلك، وكان يستحضر شيئا كثيرا من الفقه والتاريخ، قليل النسيان وكان فقيها جيد الفهم، صحيح الذهن، ويشارك في العربية مشاركة جيدة، وينظم الشعر، وما أعرف أني اجتمعت به على كثرة ترددي إليه إلا واستفدت منه)[٣].

ويلاحظ من ثناء العلماء على شيخنا رحمهم الله أنه كان إماما في العربية، بارعا وفاهما، وللشعر ناظما، وهذا يدل على مواهبه الفذة ومهاراته الفريدة.

●شيوخه:

أخذ الحافظ ابن كثير رحمه الله عن علماء كثيرين، لا يحصى عددهم، ولا ينكر فضلهم، منهم:

---

[١] المعجم المختص بالمحدثين ص:٧٤، ٧٥.

[٢] المنهل الصافي ٢/٤١٥.

[٣] طبقات المفسرين ١/١١٢، ١١٣.

الشيخ برهان الدين الفزاري، والقاسم بن عساكر، والحافظ المزي، وابن قاضي شهبة، وشيخ الإسلام ابن تيمية، وعبد الله بن محمد المقدسي، ومؤرخ الإسلام الذهبي، وشمس الدين الأصفهاني، وغيرهم خلق[١].

●تلاميذه:

كما أخذ عنه -أيضا- خلق كثير لا يحصون، منهم:

سعد الدين النووي، وشهاب الدين ابن حجي، وابن الجزري، والزركشي، وسكينة بنت الحافظ شرف الدين، وبمصر صالح القيمري، وخلق لا يحصيهم إلا الله -تعالى-[٢].

●أهم مؤلفاته:

تعددت مؤلفات الحافظ ابن كثير رحمه الله وتناولت فنونا شتى، وعلوما عدة، كالتفسير وعلومه مثل: تفسيره العظيم المسمى بـ (تفسير القرآن العظيم)، وفضائل القرآن، وهو ملحق بالتفسير في بعض نسخ الكتاب، والحديث وعلومه مثل: أحاديث الأصول واختصار علوم الحديث، والفقه وأصوله مثل: كتاب الصيام، والمقدمات في أصول الفقه، والتاريخ والسيرة والمناقب والقصص مثل: البداية والنهاية، والفصول في سيرة الرسول ﷺ، ومناقب ابن تيمية، وقصص الأنبياء، وغير ذلك مما لا يعد ولا يحصى.

---

[١] المنهل الصافي ١٧٧/١، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ١٥٦/١.

[٢] شذرات الذهب ٤٩/٧، والضوء اللامع للسخاوي ٢٥٤/٣، وطبقات الشافعية ١٥٦/١، وطبقات القراء لابن الجزري ٢٤٧/٢، والأعلام للزركلي ٢٧٤/٧، والدرر الكامنة ١٧/٤، وذيل تذكرة الحفاظ للسيوطي ص:٣٨.

وفاته:

تُوفي شيخنا بدمشق سنة ٧٧٤هـ عن أربع وسبعين سنة، وكانت جنازته حافلة ومشهودة، ودُفن بوصية منه في تربة شيخ الإسلام ابن تيمية لمحبته له، وتأثره به؛ لينعم بجواره حيا وميتا[١].

وقد رثاه أحد طلاب العلم فقال:

لفقدك طلاب العلوم تأسفوا وجادوا بدمعٍ لا يبيد غزيرِ

ولو مزجوا ماء المدامع بالدِّما لكان قليلاً فيك ياابن كثيرِ[٢]

نسأل الله -تعالى- أن يجزي شيخنا خير الجزاء، وأن يثيبه على ما قدم للإسلام والمسلمين، وأن يحشرنا -وإياه والعلماء والمتعلمين وجميع الموحدين- مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.... اللهم آمين.

ثانيا- التعريف بالمؤَلَّف، وهو (تفسير القرآن العظيم)، وذلك فيما يلي:

- **اسم الكتاب**: (تفسير القرآن العظيم).
- **قيمته ومكانته**: يعد تفسير القرآن الكريم للحافظ ابن كثير من أهم التفاسير لكتاب الله -تعالى-، وأكثرها فوائد في علوم شتى، كما أنه أصل من أصول التفسير بالمأثور؛ حيث يأتي في المرتبة الثانية بعد تفسير جامع البيان للإمام الطبري، ومن العلماء من قدمه عليه، وعلى كل فقد حظي بثناء العلماء عليه قديما وحديثا، ومن ذلك: قول الإمام

---

[١] طبقات الشافعية ١/١٥٦، والمنهل الصافي ١/١٧٧.

[٢] المنهل الصافي ١/١٧٧.

السيوطي﵀: (الإِمَام الْمُحدث الْحَافِظ ذُو الْفَضَائِل...، لَهُ التَّفْسِير الَّذِي لم يؤلف على نمطه مثله)[١].

وقول الإمام الشوكاني﵀: (وله التفسير المشهور، وهو في مجلدات، وقد جمع فيه فأوعى، ونقل المذاهب والأخبار والآثار، وتكلم بأحسن الكلام وأنفسه، وهو من أحسن التفاسير -إن لم يكن أحسنها-)[٢].

وقول العلامة أحمد محمد شاكر﵀: (إن تفسير الحافظ ابن كثير أحسن التفاسير التي رأينا، وأجودها وأدقها بعد تفسير إمام المفسرين أبي جعفر الطبري﵀)[٣].

ويكفي أنه تفسير سلك فيه صاحبه مسلك أهل السنة والجماعة، فضلا عما حواه من علوم شتى، ومنها علوم اللغة المتعددة... وهذا -بلا ريب- يدل على مكانته السامية ومنزلته العالية.

●نسخه وطبعاته ومختصراته:

يُعتبر تفسير القرآن العظيم من الكتب التي انتشرت في خزائن المكتبات الإسلامية، واكتظت بطبعاته بلدان العالم كله، وله **نسخ عديدة**، منها: ما وجد في مكة والرياض ومصر واسطنبول والهند والمغرب وإيرلندا وباريس[٤].

وطبعات لا تعد، منها: طبعة مكتبة أولاد الشيخ في ١٥ مجلد بتحقيق خمسة محققين، واعتنوا بتخريج الأحاديث، وهذه الطبعة تعتبر من أنفس الطبعات، وطبعة دار

---

[١] طبقات الحفاظ ص:٥٣٤.

[٢] البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع للشوكاني ١/١٠٣.

[٣] عمدة التفاسير من الحافظ ابن كثير لأحمد شاكر ١/٩.

[٤] راجع في ذلك: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/٣٣: ٣٨ تحقيق/ سامي بن محمد السلامة.

ابن حزم الثانية بتحقيق الدكتور البنا، وهي جيدة في الجملة، وطبعة دار طيبة بالرياض، تحقيق سامي السلامة، الطبعة الثانية لا الأولى، وقد اعتنى فيها بالتحقيق والتخريج.

ومختصرات وتهذيبات -أيضا-، من أشهرها: تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير للشيخ محمد نسيب الرفاعي، وحسن التحرير في تهذيب تفسير ابن كثير للشيخ محمد الحمود النجدي، والقبس المنير مختصر تفسير ابن كثير لمحمد سليمان الأشقر، واليسير في اختصار تفسير ابن كثير، اختصره ثلاثة من مدرسي دار الحديث الخيرية بمكة المكرمة، وهم: صلاح بن محمد عرفات، ومحمد بن عبد الله الشنقيطي، وخالد بن فوزي عبد الحميد[١].

ولعل كثرة هذه النسخ والطبعات والمختصرات لهذا التفسير تدل -أيما دلالة- على توفيق الله تعالى -أولا- ثم على غزارة علمه، وكثرة نفعه، وعلومه المتنوعة، ومنها: علوم اللغة... وجهود صاحبه التي لا تعد ولا تحصى.

هذا: ويخيل إلي أنه ما تخلو منه مكتبة مفسر، أو عالم، أو متعلم أو طالب علم..... وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾[٢].

والآن -وبعد أن انتهينا من المبحث الأول- نشرع في بيان نظراتنا اللغوية الإجمالية، والتي تتمثل في الأمور التي أسهب فيها الحافظ﵀ وأكثر من ذكرها، والأمور التي أوجز فيها﵀ واختصر مع ذكر نماذج تطبيقية موجزة، وذلك في المبحثين التاليين فإلى ذلك، واللهﷻ المستعان، وعليه التكلان.

---

[١] انظر هذه المختصرات في: المكتبة الوقفية، وموقع طريق الإسلام، وموقع أبجد، وموقع جود ريدز، وموقع بيت الإسلام.

[٢] الحديد: ٢٩.

المبحث الثاني

الأمور التي أسهب فيها الحافظ﵀ وأكثر

إن القارئ لتفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير﵀ والمطلع عليه ليلفي جهودا لغوية مبذولة في ثنايا هذا التفسير الأثري الرائع، منها: ما يتعلق بعلم النحو من حيث ضبط الكلمات وإعرابها وغير ذلك، ومنها: ما يتعلق بعلم الصرف من حيث الاشتقاق لأصول الألفاظ، ومنها: ما يتعلق بعلوم البلاغة وصورها، ومنها: ما يتعلق بالشعر من حيث الاستشهاد به في مواطن لا تعد ولا تحصى، ومنها: ما يتعلق بتعريف الألفاظ اللغوية، ومنها: ما يتعلق بالاحتجاج باللغة أو الرد على مزاعم أهلها، ومنها: ما يتعلق بالحذف والتقدير، ومنها: ما يتعلق بذكر إطلاقات بعض الكلمات واستعمالاتها، ومنها: ما يتعلق بالتصريح بأسماء أهل اللغة، وغير ذلك، مما يجعل هذا التفسير مصبوغا بالصبغة اللغوية الأصيلة -وإن كان معروفا بأنه أصل من أصول التفسير بالمأثور- وهذه صبغة جديدة تضاف إلى هذا المفسر النحرير وتفسيره الجليل.

وقد ذكر بعض المحققين للتفسير -إبان إعداده ثبت المراجع والمصادر التي اعتمد عليها شيخنا في تفسيره- أنه اعتمد في علوم اللغة على أربعة مصادر، وهي:

الجمل لابن القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، والزاهر لابن الأنباري، والصحاح للجوهري، والغريب لأبي عبيد القاسم بن سلام.

وقال: (هذه أربعة كتب في علوم اللغة، منها: ما ذكر مرة واحدة كالزاهر لابن الأنباري، ومنها: ما ذكر كثيرًا كالغريب والصحاح، أما الجمل: فكان يرجع إليه ابن كثير إذا احتاج إليه في مسألة نحوية، أو تركيب لغوي)[١].

---

[١] تفسير القرآن العظيم تحقيق/ سامي بن محمد السلامة ١/٢٩.

وإذا كان شيخنا رحمه الله قد صرح بأسماء هذه المراجع اللغوية الأربعة فإنه قد رجع إلى غيرها ولم يصرح بها، كما أنه اعتمد على لغويين آخرين لم يذكرهم -أيضا-.

وفي بيان منهج شيخنا رحمه الله في تفسيره أبان أن الجهود اللغوية والشواهد الشعرية أساس من أسس هذا المنهج، وأنه اعتمد على اللغة العربية في فهم القرآن، فكان يأخذ في الاعتبار مقتضى الألفاظ، وأساليب اللغة، ودلالات الألفاظ، وشواهد الشعر التي تدل على المعنى، وتوضح المراد.

وها نحن -أولاء- نقتطف من الأمور التي أسهب فيها الحافظ رحمه الله وأكثر من ذكرها في تفسيره، مع ذكر نماذج تطبيقية موجزة ما يلي:

●ذكر مفردات الجموع غالبا، مع الاستشهاد بالشعر.

حيث يذكر مفرد الجمع ويبين معناه، ويستشهد له من الشعر.

ومن النماذج الدالة على ذلك: قوله رحمه الله: (وَالصَّوَاعِقُ: جَمْعُ صَاعِقَةٍ، وَهِيَ نَارٌ تَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَقْتَ الرَّعْدِ الشَّدِيدِ، وَحَكَى الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ عَنْ بَعْضِهِمْ صَاعِقَةً، وَحَكَى بَعْضُهُمْ صَاعِقَةً وَصَعْقَةً وَصَاقِعَةً، وَنُقِلَ عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ أَنَّهُ: قَرَأَ "مِنَ الصَّوَاقِعِ حَذَرَ الْمَوْتِ" بِتَقْدِيمِ الْقَافِ، وَأَنْشَدُوا لِأَبِي النَّجْمِ:

يَحْكُوكَ بِالْمَثْقُولَةِ الْقَوَاطِعِ ... شَفَقُ الْبَرْقِ عَنِ الصَّوَاقِعِ[1]، قَالَ النَّحَّاسُ: وَهِيَ لُغَةُ بَنِي تَمِيمٍ وَبَعْضِ بني ربيعة)[2]، فالصواقع جمع صعقة -أيضا-، وهي لغات بعض القبائل.

---

[1] البيت في لسان العرب لابن منظور ٨/٢٠١، وهو فيه: يحكون بالمصقولة القواطع... تشقق البرق عن الصواقع.

[2] تفسير القرآن العظيم ١/١٩٠.

وفي قوله ﷻ: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾[١] يقول﵀: (أَيْ: يُوجَدُ فِيهِمُ الْقِسِّيسُونَ -وَهُمْ خُطَبَاؤُهُمْ وَعُلَمَاؤُهُمْ، وَاحِدُهُمْ: قِسِّيسٌ وقَس أَيْضًا، وَقَدْ يُجْمَعُ عَلَى قُسُوسٍ- وَالرُّهْبَانُ: جَمْعُ رَاهِبٍ، وَهُوَ: الْعَابِدُ، مُشْتَقٌّ مِنَ الرَّهْبَةِ، وَهِيَ الْخَوْفُ كَرَاكِبٍ وَرُكْبَانٍ، وَفَارِسٍ وَفُرْسَانٍ.

وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَقَدْ يَكُونُ الرُّهْبَانُ وَاحِدًا، وجَمْعُه رَهَابِينُ، مِثْلُ قُرْبَانٍ وَقَرَابِينَ، وجُرْدان وجَرَادين، وَقَدْ يُجْمَعُ عَلَى رَهَابِنَةٍ، وَمِنَ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّهُ يَكُونُ عِنْدَ الْعَرَبِ وَاحِدًا قَوْلُ الشَّاعِرِ:

لَوْ عَايَنَتْ رُهْبان دَيْر فِي القُلَل ... لانْحدَر الرُّهْبَان يَمْشي وَنَزَلْ[٢])[٣].

فذكر شيخنا كلام ابن جرير، وفيه الاستشهاد من الشعر على أن كلمة الرهبان مفرد، جمعها رهابين أو رهابنة.

●ذكر نوع الكلمات، والاستشهاد لها من الشعر.

ومراد ذلك: أنه يبين نوع الكلمات من حيث كونها مصدرا -مثلا-، ويستشهد لذلك من الشعر، ومن ذلك:

قوله﵀: (وَالْمُرَاغَمُ مَصْدَرٌ، تَقُولُ الْعَرَبُ: رَاغَمَ فُلَانٌ قَوْمَهُ مُرَاغَمًا وَمُرَاغَمَةً، قَالَ نَابِغَةُ بَنِي جَعْدَةَ:

كَطَوْدٍ يُلاذُ بأرْكَانِه ... عَزيز المرَاغَم وَالْمَهْرب[٤])[٥].

---

[١] المائدة:٨٢.

[٢] البيت في تهذيب اللغة للأزهري ١٥٥/٦، وجامع البيان في تأويل القرآن للطبري ٥٠٣/١٠.

[٣] تفسير القرآن العظيم ١٦٧/٣.

[٤] البيت في اللسان ٣٩٢/٧، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ١٣٨/١، وجامع البيان ١١٢/٩.

[٥] تفسير القرآن العظيم ٣٩١/٢.

وقوله في قوله: ﴿أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا﴾[١]: (أَيْ: غَائِرًا فِي الْأَرْضِ، وَهُوَ ضِدُّ النَّابِعِ الَّذِي يُطْلَبُ وَجْه الْأَرْضِ، فَالْغَائِرُ يُطْلَبُ أَسْفلها كَمَا قَالَ -تَعَالَى-: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾[٢]، أَيْ: جَارٍ وَسَائِحٍ، وَقَالَ -هَاهُنَا-: ﴿أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا﴾[٣]، وَالْغَوْرُ: مَصْدَرٌ بِمَعْنَى غَائِرٍ، وَهُوَ أَبْلَغُ مِنْهُ، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ: تَظَلُّ جِيَادُهُ نَوْحًا عَلَيْهِ ... مُقَلَّدَةً أَعِنَّتُهَا صُفُونَا[٤] بمعنى: نائحات عليه)[٥].

●ذكر التعريفات اللغوية للألفاظ، والاستشهاد لها من الشعر غالبا.

أي: أنه يعرف اللفظة من حيث اللغة، مبينا إجماع أهل اللغة على هذا المعنى، أو كونه مشهورا عندهم، ويذكر ما يدل على هذا التعريف من الشعر، ومن ذلك: قوله: (فَالتَّيَمُّمُ فِي اللُّغَةِ هُوَ: الْقَصْدُ، تَقُولُ الْعَرَبُ: تَيَمَّمَكَ اللَّهُ بِحِفْظِهِ، أَيْ: قَصَدَكَ، وَمِنْهُ قَوْلُ امْرِئِ الْقَيْسِ: وَلَمَّا رَأَتْ أَنَّ المنية وردُها ... وَأَنَّ الحصَى مِنْ تَحْتِ أَقْدَامِهَا دَامِ

تَيَمَّمَتِ الْعَيْنَ الَّتِي عِنْدَ ضَارِجٍ ... يَفِيءُ عَلَيْهَا الْفَيْءُ عَرْمَضها طَامِ[٦])[٧].

---

[١] الكهف:٤١.

[٢] الملك:٣٠.

[٣] الكهف:٤١.

[٤] البيت في مجاز القرآن ٤٠٣/١، وجامع البيان ٢٦٧/١٥.

[٥] تفسير القرآن العظيم ١٥٩/٥.

[٦] البيتان في اللسان ٣١٤/٢، وتاج العروس للزبيدي ٨١/٦، والبيت الأول فيهما هو: ولَمَّا رأَتْ أَن الشَّرِيعة هَمُّها ... وأَنَّ البَياض مِنْ فَرائِصِها دَامي.

[٧] تفسير القرآن العظيم ٣١٨/٢.

وقوله: (وَالْأَصْفَادُ: هِيَ الْقُيُودُ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَالْأَعْمَشُ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدٍ، وَهُوَ مَشْهُورٌ فِي اللُّغَةِ، قَالَ عَمْرُو بْنُ كُلْثُومٍ: فَآبُوا بِالنِّيَابِ وَبِالسَّبَايَا وَأُبْنَا بِالْمُلُوكِ مُصَفّدينا[١])[٢].

●ذكر الأصول اللغوية للألفاظ، والاستشهاد لها من الشعر غالبا

ومما يدل على ذلك: قولهﷺ: (وَالرِّكْزُ فِي أَصْلِ اللُّغَةِ: هُوَ الصَّوْتُ الْخَفِيُّ، قَالَ الشَّاعِرُ:

فَتَوجست رِكْز الْأَنِيسِ فَرَاعَها ... عَنْ ظَهْر غَيب والأنيسُ سَقَامُها[٣])[٤].

وقولهﷺ: (وَأَصْلُ التَّقْوَى: التَّوَقِّي مِمَّا يَكْرَهُ؛ لِأَنَّ أَصْلَهَا وَقْوَى مِنَ الْوِقَايَةِ، قَالَ النَّابِغَةُ:

سَقَطَ النَّصِيفُ وَلَمْ تُرِدْ إِسْقَاطَهُ ... فَتَنَاوَلَتْهُ وَاتَّقَتْنَا بِالْيَدِ[٥]

وَقَالَ الْآخَرُ: فَأَلْقَتْ قِنَاعًا دُونَهُ الشَّمْسُ وَاتَّقَتْ ... بِأَحْسَنِ مَوْصُولَيْنِ كَف وَمِعْصم[٦])[٧].

---

[١] انظر: ديوان عمرو بن كلثوم ص:٩٤، وشرح القصائد السبع لابن الأنباري ص:٤١٢، وجامع البيان ١٣/١٦٧.

[٢] تفسير القرآن العظيم ٤/٥٢٢.

[٣] البيت في ديوان لبيد ص:٣١١، وجامع البيان ١٦/١٠٢.

[٤] تفسير القرآن العظيم ٥/٢٧٠.

[٥] البيت في تهذيب اللغة ١٢/١٤٣، واللسان ٩/٣٣٢.

[٦] البيت في طبقات الشعراء لابن المعتز ١/١٤٦، وشرح ديوان الحماسة للتبريزي ٢/١٤١، وخزانة الأدب للبغدادي ٥/١٨٧.

[٧] تفسير القرآن العظيم ١/١٦٤.

●أنه يُعنى بذكر المتعلق والمحذوف، وتقديراتهما اللغوية.

اهتم شيخنا﵀ ببيان ذلك اهتماما بالغا، سواء أكان المحذوف فعلا أم اسما، أم غير ذلك، ويدلل على كل ما يذكره من التنزيل العزيز وشواهد الشعر، ومن ذلك: قوله﵀ في بيان متعلق البسملة، وتقديره ودليله: (وَمِنْ -هَاهُنَا[١]- يَنْكَشِفُ لَكَ أَنَّ الْقَوْلَيْنِ عِنْدَ النُّحَاةِ فِي تَقْدِيرِ الْمُتَعَلِّقِ بِالْبَاءِ فِي قَوْلِكَ: بِاسْمِ اللَّهِ، هَلْ هُوَ اسْمٌ أَوْ فِعْلٌ مُتَقَارِبَانِ؟ وَكُلٌّ قَدْ وَرَدَ بِهِ الْقُرْآنُ، أَمَّا مَنْ قَدَّرَهُ بِاسْمٍ، تَقْدِيرُهُ: بِاسْمِ اللَّهِ ابْتِدَائِي، فَلِقَوْلِهِ -تَعَالَى-: ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[٢]، وَمَنْ قَدَّرَهُ بِالْفِعْلِ أَمْرًا وَخَبَرًا نَحْوَ: أَبدَأ بِبِسْمِ اللَّهِ، أَوِ ابْتَدَأْتُ بِبِسْمِ اللَّهِ، فَلِقَوْلِهِ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾[٣]، وَكِلَاهُمَا صَحِيحٌ؛ فَإِنَّ الْفِعْلَ لَا بُدّ لَهُ مِنْ مَصْدَرٍ، فَلَكَ أَنْ تُقَدِّرَ الْفِعْلَ وَمَصْدَرَهُ، وَذَلِكَ بِحَسَبِ الْفِعْلِ الَّذِي سَمَّيْتَ قَبْلَهُ -إِنْ كَانَ قِيَامًا أَوْ قُعُودًا أَوْ أَكْلًا أَوْ شُرْبًا أَوْ قِرَاءَةً أَوْ وُضُوءًا أَوْ صَلَاةً- فَالْمَشْرُوعُ ذِكْرُ اسْمِ اللَّهِ فِي الشُّرُوعِ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ؛ تَبَرُّكًا وَتَيَمُّنًا وَاسْتِعَانَةً عَلَى الْإِتْمَامِ وَالتَّقَبُّلِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ)[٤].

وقوله﵀ في بيان ما تضمنه قوله: ﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ﴾[٥] من حذف وتقدير: (يَعْنِي: الْكَلِمَةَ الَّتِي بَعْدَهَا، وَهِيَ قَوْلُهُ: ﴿أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا

---

[١] أي: بعد كلامه عن البسملة المباركة.

[٢] هود: ٤١.

[٣] العلق: ١.

[٤] تفسير القرآن العظيم ١/١٢١.

[٥] يوسف: ٧٧.

تَصِفُونَ﴾[١] أَيْ: تَذْكُرُونَ، قَالَ هَذَا فِي نَفْسِهِ، وَلَمْ يُبْدِهِ لَهُمْ، وَهَذَا مِنْ بَابِ الْإِضْمَارِ قَبْل الذكر، وَهُوَ كَثِيرٌ، كَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

جَزَى بَنُوه أَبَا الْغَيْلَانِ عَنِ كبَرٍ وحسْن فِعْلٍ كَمَا يُجزَى سِنِمَّارُ[٢]

وَلَهُ شَوَاهِدُ كَثِيرَةٌ فِي الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ وَاللُّغَةِ، فِي مَنْثُورِهَا وَأَخْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا)[٣].

●ذكر الأقوال في إعراب بعض الألفاظ والجمل، وما يترتب عليها.

ويفصل القول فيها تفصيلا دقيقا، ويبين كونها مبتدأ، أو حالا، أو مجرورة، أو بدلا.... ومما يدل على ذلك:

قوله﵀ في إعراب ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٤]: (الْقُرَّاءُ السَّبْعَةُ عَلَى ضَمِّ الدَّالِ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿الحمدُ لِله﴾ وَهُوَ مُبْتَدَأٌ وَخَبَرٌ، وَرُوِيَ عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ وَرُؤْبَةَ بْنِ الْعَجَّاجِ أَنَّهُمَا قَالَا: الحمدَ لِله بِالنَّصْبِ، وَهُوَ عَلَى إِضْمَارِ فِعْلٍ)[٥].

وتفصيله في إعراب قوله: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾[٦] تفصيلا دقيقا حيث يقول﵀: (وَقَوْلُهُ: ﴿وَيَوْمَ﴾ مَنْصُوبٌ إِمَّا عَلَى الْعَطْفِ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿وَاتَّقُوهُ﴾ وَتَقْدِيرُهُ: وَاتَّقُوا يَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ، وَإِمَّا عَلَى قَوْلِهِ:

---

[١] يوسف:٧٧.

[٢] انظر: تاج العروس ٩٨/١٢، وصبح الأعشى في صناعة الإنشاء للقلقشندي ٢٨٥/٢، وزهر الأكم في الأمثال والحكم لليوسي ٤٧/٢.

[٣] تفسير القرآن العظيم ٤٠٣/٤.

[٤] الفاتحة:٢.

[٥] تفسير القرآن العظيم ١٢٧/١.

[٦] الأنعام:٧٣.

﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ﴾[١] أَيْ: وَخَلَقَ يَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ، فَذَكَرَ بَدْءَ الْخَلْقِ وَإِعَادته، وَهَذَا مُنَاسِبٌ، وَإِمَّا عَلَى إِضْمَارِ فِعْلٍ، تَقْدِيرُهُ: وَاذْكُرْ يَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ﴾ جُمْلَتَانِ مَحَلُّهُمَا الْجَرُّ، عَلَى أَنَّهُمَا صِفَتَانِ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَقَوْلُهُ: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ بَدَلًا مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ ظَرْفًا لِقَوْلِهِ: ﴿وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ كَقَوْلِهِ: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾[٢]، وَكَقَوْلِهِ ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾[٣]، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ)[٤].

●ذكر إطلاقات بعض الكلمات واستعمالاتها.

ففي إطلاقات كلمة الرب في قوله: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٥] يقول رحمه الله: (وَالرَّبُّ هُوَ: الْمَالِكُ الْمُتَصَرِّفُ، وَيُطْلَقُ فِي اللُّغَةِ عَلَى السَّيِّدِ، وَعَلَى الْمُتَصَرِّفِ لِلْإِصْلَاحِ، وَكُلُّ ذَلِكَ صَحِيحٌ فِي حَقِّ اللَّهِ -تَعَالَى-)[٦].

وفي استعمالات لفظة الريب يقول رحمه الله مع الاستشهاد على قوله من الشعر: (وَقَدْ يُسْتَعْمَلُ الرَّيْبُ فِي التُّهْمَةِ، قَالَ جَمِيلٌ: بُثَيْنَةُ قَالَتْ يَا جَمِيلُ أَرَبْتَنِي ... فَقُلْتُ

---

[١] الأنعام:٧٣.

[٢] غافر:١٦.

[٣] الفرقان:٢٦.

[٤] تفسير القرآن العظيم ٣/٢٨١.

[٥] الفاتحة:٢.

[٦] تفسير القرآن العظيم ١/١٣١.

كِلَانَا يَا بُنَيْنُ مُرِيبُ[١]، وَاسْتُعْمِلَ -أَيْضًا- فِي الْحَاجَةِ، كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ: قَضَيْنَا مِنْ تِهَامَةَ كُلَّ رَيْبٍ ... وَخَيْبَرَ ثُمَّ أَجْمَعْنَا السُّيُوفَا[٢])[٣].

●التصريح بأسماء من ينقل عنهم من أهل اللغة.

وهم كثر وكثر، وتارة ينقل عن واحد، وأخرى عن اثنين، وثالثة عن جماعة، وفي كل يصرح بمن نقل عنه.

ومما نقله عن واحد قولهﷺ: (قَالَ الْإِمَامُ أَبُو نَصْرٍ إِسْمَاعِيلُ بْنُ حَمَّاد الْجَوْهَرِيُّ فِي كِتَابِ الصِّحَاحِ فِي اللُّغَةِ: والدَّيُّوث: القُنذُع، وَهُوَ الَّذِي لَا غَيرَةَ لَهُ)[٤].

ومما نقله عن اثنين قولهﷺ: (وَقَالَ الْفَرَّاءُ وَأَبُو عُبَيْدَةَ: الْعَالَمُ عِبَارَةٌ عَمَّا يَعْقِلُ، وَهُمُ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ وَالْمَلَائِكَةُ وَالشَّيَاطِينُ، وَلَا يُقَالُ لِلْبَهَائِمِ: عَالَمٌ)[٥].

ومما نقله عن أكثر مما سبق قولهﷺ: (وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: الْوَيْلُ: السَّعِيرُ مِنَ الْعَذَابِ، وَقَالَ الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ: الْوَيْلُ: شِدَّةُ الشَّرِّ، وَقَالَ سِيبَوَيْهِ: وَيْلٌ: لِمَنْ وَقَعَ فِي الْهَلَكَةِ، وَوَيْحٌ لِمَنْ أَشْرَفَ عَلَيْهَا، وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ: الْوَيْلُ: تَفَجُّعٌ وَالْوَيْلُ تَرَحُّمٌ، وَقَالَ غَيْرُهُ: الْوَيْلُ الْحُزْنُ، وَقَالَ الْخَلِيلُ: وَفِي مَعْنَى وَيْلٍ: وَيْحٌ وَوَيْشٌ وَوَيْهٌ وَوَيْكٌ وَوَيْبٌ، وَمِنْهُمْ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَهَا، وَقَالَ بَعْضُ النُّحَاةِ: إِنَّمَا جَازَ الِابْتِدَاءُ بِهَا وَهِيَ نَكِرَةٌ؛ لِأَنَّ فِيهَا مَعْنَى

---

[١] البيت في شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم لنشوان اليمني ٢٧١١/٤، والإبانة في اللغة العربية لسلمة بن مسلم ٢٠٨/١.

[٢] البيت في الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري ١٤١/١، واللسان ٤٤٣/١.

[٣] تفسير القرآن العظيم ١٦٢/١.

[٤] تفسير القرآن العظيم ١٢/٦، والصحاح تاج اللغة ٢٨٢/١.

[٥] تفسير القرآن العظيم ١٣٢/١.

الـدُّعَاءِ، وَمِـنْهُمْ مَـنْ جَـوَّزَ نَصْـبَهَا، بِمَعْـنَى: أَلْـزَمَهُـمْ وَيْـلًا، قُلْـتُ: لَكِـنْ لَمْ يَقْـرَأْ بِـذَلِكَ أَحَدٌ)[١].

●الاستدلال باللغة على رجحان بعض الأقوال.

وهـذا يـدل علـى تمكنـه مـن اللغـة تمكنـا بالغـا، وأنهـا عنـده مـن المرجحـات بعـد الأصول الشرعية، ومن ذلك: قوله﵀ -تعقيبا على كلام شيخ المفسرين في المراد من الأواب-: (وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَالْأَوْلَى فِي ذَلِكَ قَوْلُ مَنْ قَالَ: هُوَ التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ، الرَّاجِعُ عَنِ الْمَعْصِيَةِ إِلَى الطَّاعَةِ، مِمَّا يَكْرَهُ اللَّهُ إِلَى مَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ، وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ هُوَ الصَّوَابُ؛ لِأَنَّ الْأَوَّابَ مُشْتَقٌّ مِنَ الْأَوْبِ، وَهُوَ الرُّجُوعُ، يُقَالُ: آبَ فُلَانٌ إِذَا رَجَعَ، قَالَ اللَّهُ -تَعَالَى-: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾[٢]، وَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِﷺ كَانَ إِذَا رَجَعَ مِنْ سَفَرٍ قَالَ: "آيِبُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ، لِرَبِّنَا حَامِدُونَ"[٣])[٤].

وقولـه﵀: (وَأَمَّـا قَوْلُـهُ: ﴿أَنْ يُقَتَّلُـوا أَوْ يُصَـلَّبُوا أَوْ تُقَطَّـعَ أَيْـدِيهِـمْ وَأَرْجُلُهُـمْ مِـنْ خِلافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الأَرْضِ﴾[٥] الْآيَةَ: قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنِ ابْنِ عباس فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾[٦] قَال مَنْ شَهَرَ السِّلَاحَ فِي قبَّة الْإِسْلَامِ وَأَخَافُ

---

[١] تفسير القرآن العظيم ٣١٢/١.

[٢] الغاشية:٢٥.

[٣] رواه البخاري في صحيحه بلفظ "كَانَ إِذَا قَفَلَ..." ك أبواب العمرة بَابُ مَا يَقُولُ إِذَا رَجَعَ مِنَ الحَجِّ أَوِ العُمْرَةِ أَوِ الغَزْوِ ٧/٣.

[٤] تفسير القرآن العظيم ٦٨/٥.

[٥] المائدة:٣٣.

[٦] المائدة:٣٣.

وَأَخَافُ السَّبِيلَ ثُمَّ ظُفِرَ بِهِ وَقُدِرَ عَلَيْهِ فَإِمَامُ الْمُسْلِمِينَ فِيهِ بِالْخِيَارِ: إِنْ شَاءَ قَتَلَهُ، وَإِنْ شَاءَ صلَبَهُ، وَإِنْ شَاءَ قَطَعَ يَدَهُ وَرِجْلَه، وَكَذَا قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ، وَمُجَاهِدٌ، وَعَطَاءٌ، وَالْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ، وَإِبْرَاهِيمُ النَّخَعي، وَالضَّحَّاكُ، وَرَوَى ذَلِكَ كُلَّهُ أَبُو جَعْفَرِ بْنُ جَرِيرٍ، وَحُكِيَ مِثْلُهُ عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ وَمُسْتَنَدُ هَذَا الْقَوْلِ أَنَّ ظَاهِرَ "أَوْ" لِلتَّخْيِيرِ، كَمَا فِي نَظَائِرِ ذَلِكَ مِنَ الْقُرْآنِ، كَقَوْلِهِ فِي جَزَاءِ الصَّيْدِ: ﴿فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا﴾[١]، وَقَوْله فِي كَفَّارَةِ التَّرَفُّهِ: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾[٢]، وَكَقَوْلِهِ فِي كَفَّارَةِ الْيَمِينِ: ﴿إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾[٣]، وَهَذِهِ كُلُّهَا عَلَى التَّخْيِيرِ، فَكَذَلِكَ فَلْتَكُنْ هَذِهِ الْآيَةُ)[٤].

●ذكر اختلافات اللغويين، مع الترجيح –أحيانا– والاستشهاد بالشعر أخرى.

حيث يستقصي الأقوال في ذلك، سواء أكان من الناحية الإعرابية، أم من ناحية المعنى، أم من ناحية إفادته، أم من ناحية كونه لغة للعرب أو لا، مدللا عليها من الذكر الحكيم تارة، والشواهد الشعرية أخرى، ومرجحا تارة ثالثة.

---

[١] المائدة:٩٥.

[٢] البقرة:١٩٦.

[٣] المائدة:٨٩.

[٤] تفسير القرآن العظيم ٣/٩٩ ، ١٠٠.

ومما نذكره في ذلك: قوله: (قَالَ بَعْضُ النُّحَاةِ فِي تَوْجِيهِ قَوْلِهِ -تَعَالَى-: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾[١] لَا هَاهُنَا زَائِدَة، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: زِيدَتْ لِتَأْكِيدِ الْجَحْدِ، كَقَوْلِ الشَّاعِرِ: مَا إِنْ رأيتُ وَلَا سمعتُ بِمِثْلِهِ

فَأَدْخَلَ "إِنْ" وَهِيَ لِلنَّفْيِ، عَلَى ﴿مَا﴾ النَّافِيَةِ لِتَأْكِيدِ النَّفْيِ، قَالُوا: وَكَذَلِكَ -هَاهُنَا-: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلا تَسْجُدَ﴾ مَعَ تَقَدُّمِ قَوْلِهِ: ﴿لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾[٢] حَكَاهُمَا ابْنُ جَرِيرٍ وَرَدَّهُمَا، وَاخْتَارَ أَنَّ ﴿مَنَعَكَ﴾ تَضَمَّنَ مَعْنَى فِعْلٍ آخَرَ تَقْدِيرُهُ: مَا أَحْوَجَكَ وَأَلْزَمَكَ وَاضْطَرَّكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ، وَنَحْوُ ذَلِكَ، وَهَذَا الْقَوْلُ قَوِيٌّ حَسَنٌ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ)[٣].

وقوله في قوله: ﴿وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾[٤]: (يَعْنُونَ: أَنَّهُ كَانَ كَافِرًا، وَلَا يُفْلِحُ الْكَافِرُ عِنْدَ اللَّهِ، لَا فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ، وَقَدِ اخْتَلَفَ النُّحَاةُ فِي معنى قوله تعالى -ههنا-: ﴿وَيْكَأَنَّ﴾ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَاهَا: وَيْلَكَ اعْلَمْ أَنَّ، وَلَكِنْ خُفِّفت فَقِيلَ: وَيْكَ، ودلَّ فَتْحُ أَنَّ عَلَى حَذْفِ اعْلَمْ، وَهَذَا الْقَوْلُ ضعَّفه ابْنُ جَرِيرٍ، وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ قَوِيٌّ، وَلَا يُشْكِلُ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا كِتَابَتُهَا فِي الْمَصَاحِفِ مُتَّصِلَةً وَيْكَأَنَّ، وَالْكِتَابَةُ أَمْرٌ وَضْعِيٌّ اصْطِلَاحِيٌّ، وَالْمَرْجِعُ إِلَى اللَّفْظِ الْعَرَبِيِّ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ، وَقِيلَ: مَعْنَاهَا: وَيْكَأَنَّ، أَيْ: أَلَمْ تَرَ أَنَّ، قَالَهُ قَتَادَةُ، وَقِيلَ: مَعْنَاهَا وَيْ كَأَنَّ، فَفَصَلَهَا وَجَعَلَ حَرْفَ وَيْ لِلتَّعَجُّبِ أَوْ لِلتَّنْبِيهِ، وَكَأَنَّ بِمَعْنَى أَظُنُّ وَأَحْسَبُ، قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَأَقْوَى الْأَقْوَالِ فِي هَذَا

---

[١] الأعراف:١٢.

[٢] الأعراف:١١.

[٣] تفسير القرآن العظيم ٣٩٢/٣.

[٤] القصص:٨٢.

قَوْلُ قَتَادَةَ: إِنَّهَا بِمَعْنَى: أَلَمْ تَرَ أَنَّ، وَاسْتَشْهَدَ بِقَوْلِ الشَّاعِرِ: سَأَلَتَانِي الطَّلاق أَنْ رَأَتَانِي ... قَلّ مَالِي، وقَدْ جِئْتُمَانِي بِنُكر

وَيْكأَنْ مَنْ يكُن لَهُ نَشَب يُحْ ... بَبْ وَمَنْ يَفْتقر يَعش عَيشَ ضُرّ[١])[٢].

●أنه يذكر معاني بعض الحروف وما يترتب عليها، ويدلل على ذلك.

ففي معنى ﴿ثم﴾ في قوله: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[٣] يقول﵀: (﴿ثُمَّ﴾ هَاهُنَا لِعَطْفِ خَبَرٍ عَلَى خَبَرٍ وَتَرْتِيبِهِ عَلَيْهِ، كَأَنَّهُ -تَعَالَى- أَمَرَ الْوَاقِفَ بِعَرَفَاتٍ أَنْ يَدْفَع إِلَى الْمُزْدَلِفَةِ؛ لِيَذْكُرَ اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ، وَالْمَقْصُودُ مِنْهُ الْحَثُّ عَلَى كَثْرَةِ الذِّكْرِ لِلَّهِ ﷻ؛ وَلِهَذَا كَانَ انْتِصَابُ قَوْلِهِ: ﴿أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾[٤] عَلَى التَّمْيِيزِ، تَقْدِيرُهُ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ مِنْهُ ذِكْرًا، وَ﴿أَوْ﴾ هَاهُنَا لِتَحْقِيقِ الْمُمَاثِلَةِ فِي الْخَبَرِ، كَقَوْلِهِ:

﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾[٥]، وَقَوْلِهِ: ﴿يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾[٦])[٧].

---

[١] البيتان في معاني القرآن ٤٧٢/٢، وجامع البيان في تأويل القرآن ٧٧/٢٠، ومحاسن التأويل للقاسمي ٥٣٩/٧.

[٢] تفسير القرآن العظيم ٢٥٨/٦.

[٣] البقرة:١٩٩.

[٤] البقرة:٢٠٠.

[٥] البقرة:٧٤.

[٦] النساء:٧٧.

[٧] تفسير القرآن العظيم ٥٥٥/١: ٥٥٧.

وفي المراد من اللام في قوله: ﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾[١] يقول مرجحا ومدللا من الشعر: (يَقُولُ -تَعَالَى- مُخْبِرًا عَنْ مُوسَى وَصَاحِبِهِ -وَهُوَ الْخَضِرُ- أَنَّهُمَا انْطَلَقَا لَمَّا تَوَافَقَا وَاصْطَحَبَا، وَاشْتَرَطَ عَلَيْهِ أَلَّا يَسْأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ أَنْكَرَهُ حَتَّى يَكُونَ هُوَ الَّذِي يَبْتَدِئُهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ بِشَرْحِهِ وَبَيَانِهِ، فَرَكِبَا فِي السَّفِينَةِ، فَلَمَّا اسْتَقَلَّتْ بِهِمُ السَّفِينَةُ فِي الْبَحْرِ وَلَجَّتْ أَيْ: دَخَلَتِ اللُّجَّةَ قَامَ الْخَضِرُ فَخَرَقَهَا، وَاسْتَخْرَجَ لَوْحًا مِنْ أَلْوَاحِهَا ثُمَّ رَقَعَهَا، فَلَمْ يَمْلِكْ مُوسَى عليه السلام نَفْسَهُ أَنْ قَالَ مُنْكِرًا عَلَيْهِ: ﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾ وَهَذِهِ اللَّامُ لَامُ الْعَاقِبَةِ، لَا لَامُ التَّعْلِيلِ، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ: لدُوا للْمَوت وابْنُوا للخَرَاب)[٢].

●الاستشهاد بالشعر على المراد من الآية الكريمة أو بعضها.

وهذا من أروع البيان، وأجل المعاني، حيث يفسر الكلمة من الآية أو الجملة منها، أو يفسرها كلها ببيت أو أكثر من شعر العرب، وفي هذا تثبيت للمعنى المراد في ذهن القارئ وتأكيد له، وحسبنا أن هذا يعرف في لغتنا بالشاهد الشعري، وهو: كل ما يُستشهدُ به من الشعر المحتج به على قضية ما.

وهذا يدل على أن للشعر في التفسير أهمية كبيرة؛ إذ الشعرُ ديوان العرب، قال ابن عباسٍ رضي الله عنهما: إذا خفِيَ عليكم شيء من القرآن فابتغوه في الشعرِ؛ فإنّهُ ديوان العرب، وكان رضي الله عنهما يُسْأَلُ عن القرآن فيُنْشِدُ فيه الشعر، قال أبو عبيد: يعني كان يستشهد به على التفسير، وقال عمر رضي الله عنه: أيها الناس تمسكوا بديوان شِعْرِكم في جاهليتكم؛ فإن فيه تفسير كتابكم، وكفى بهذا أدلة على أهمية الاستشهاد بالشعر على بيان المعنى المراد من الآية الكريمة أو بعض منها، ولشيخنا رحمه الله في هذا الأمر باع طويل وقدر جلي،

---

[١] الكهف: ٧١.

[٢] تفسير القرآن العظيم ١٨٢/٥.

ومما نسجله من جهوده في ذلك: قولهﷺ: (وَمَعْنَى ﴿يَسُومُونَكُمْ﴾[١] أَيْ: يُوَلُّونَكُمْ، قَالَهُ أَبُو عُبَيْدَةَ، كَمَا يُقَالُ سَامَهُ خُطَّةَ خَسْفٍ، إِذَا أَوْلَاهُ إِيَّاهَا، قَالَ عَمْرُو بْنُ كُلْثُومٍ: إِذَا مَا الْمُلْكُ سَامَ النَّاسَ خَسْفًا ... أَبَيْنَا أَنْ نُقِرَّ الْخَسْفَ فِينَا)[٢].

وقولهﷺ في قوله: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[٣]: (هَذَا مِنْ فَضْلِهِﷻ وَكَرَمِهِ أَنَّهُ نَدَبَ عِبَادَهُ إِلَى دُعَائِهِ، وَتَكَفَّلَ لَهُمْ بِالْإِجَابَةِ، كَمَا كَانَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ يَقُولُ: يَا مَنْ أحبُّ عِبَادِهِ إِلَيْهِ مَنْ سَأَلَهُ فَأَكْثَرَ سُؤَالَهُ، وَيَامَنْ أَبْغَضُ عِبَادِهِ إِلَيْهِ مَنْ لَمْ يَسْأَلْهُ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ غَيْرُكَ يارب، وَفِي هَذَا الْمَعْنَى يَقُولُ الشَّاعِرُ: اللهُ يَغْضبُ إِنْ تركْتَ سُؤَالهُ ... وبني آدمَ حِينَ يُسألُ يَغْضَبُ[٤])[٥].

●الاهتمام بضبط الكلمات، والاستشهاد لذلك من الشعر.

وقد جلى الحافظ ابن كثيرﷺ ذلك أيما جلاء، فاهتم بذكر ضبط الكلمات أو الألفاظ، وذكر أمثلة لها، وأحيانا ينقل عن غيره ذلك، ومن الأمثلة الدالة على ذلك: قولهﷺ: (وَالدَّأْبُ -بِالتَّسْكِينِ، وَالتَّحْرِيكِ أَيْضًا كنَهْر ونَهَر-: هُوَ الصُّنْعُ وَالشَّأْنُ وَالْحَالُ وَالْأَمْرُ وَالْعَادَةُ، كَمَا يُقَالُ: لَا يَزَالُ هَذَا دَأْبِي وَدَأْبُكَ، وَقَالَ امْرُؤُ الْقَيْسِ:

وُقُوفًا بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيَّهُمْ ... يَقُولُونَ: لَا تَهْلِكْ أَسًى وَتَجَمَّلِ

---

[١] البقرة:٤٩.

[٢] تفسير القرآن العظيم ١/٢٥٨.

[٣] غافر:٦٠.

[٤] البيت في تفسير الجامع لأحكام القرآن ١/١٠٦.

[٥] تفسير القرآن العظيم ٧/١٥٣، بتصرف يسير.

كَدَأْبِكَ مِنْ أُمِّ الْحُوَيْرِثِ قَبْلَهَا ... وَجَارَتِهَا أُمِّ الرَّبَابِ بِمَأْسَلِ[١]

وَالْمَعْنَى: كَعَادَتِكَ فِي أُمِّ الْحُوَيْرِثِ حِينَ أَهْلَكْتَ نَفْسَكَ فِي حُبِّهَا وَبَكَيْتَ دَارَهَا وَرَسْمَهَا.

وَالْمَعْنَى فِي الْآيَةِ: أَنَّ الْكَافِرِينَ لَا تُغْنِي عَنْهُمُ الْأَوْلَادُ وَلَا الْأَمْوَالُ، بَلْ يَهْلَكُونَ وَيُعَذَّبُونَ، كَمَا جَرَى لِآلِ فِرْعَوْنَ وَمَنْ قَبْلَهُمْ من المكذبين للرسل فيما جاؤوا بِهِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَحُجَجِهِ)[٢].

وقوله﵀ في قوله: ﴿سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ﴾[٣]: (أَيْ: ثِيَابُهُمُ الَّتِي يَلْبَسُونَهَا عَلَيْهِمْ مِنْ قَطِرَانٍ، وَهُوَ الَّذِي تُهنأ بِهِ الْإِبِلُ، أَيْ: تُطْلَى، قَالَهُ قَتَادَةُ، وَهُوَ أَلْصَقُ شَيْءٍ بِالنَّارِ، وَيُقَالُ فِيهِ: قَطِران -بِفَتْحِ الْقَافِ وَكَسْرِ الطَّاءِ، وَبِفَتْحِ الْقَافِ وَتَسْكِينِ الطَّاءِ، وَبِكَسْرِ الْقَافِ وَتَسْكِينِ الطَّاءِ- وَمِنْهُ قَوْلُ أَبِي النَّجْمِ: كَأَنَّ قِطْرانًا إِذَا تَلاهَا ... تَرْمي بِهِ الرِّيحُ إِلَى مَجْراها[٤]، وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ﵄ يَقُولُ: القَطران هُوَ: النُّحَاسُ الْمُذَابُ، وَرُبَّمَا قَرَأَهَا: ﴿سَرَابيلهم مِنْ قَطِران﴾ أَيْ: مِنْ نُحَاسٍ حَارٍّ قَدِ انْتَهَى حَرُّهُ، وَكَذَا رُوِيَ عَنْ مُجَاهِدٍ، وَعِكْرِمَةَ، وَسَعِيدِ بْنِ جُبَير، وَالْحَسَنِ، وَقَتَادَةَ)[٥].

●ذكر الأقوال في عود الضمائر.

حيث يوفق تارة، وأخرى نراه يذكر المعنى المترتب على عود الضمير، ومما نسجله لشيخنا﵀ في ذلك:

---

[١] راجع: ديوان امرئ القيس ص:٩، وتاج العروس ٤٤٦/٢٧، حيث ذكر فيه البيت الثاني قط.

[٢] تفسير القرآن العظيم ١٦/٢.

[٣] إبراهيم:٥٠.

[٤] البيت في جامع البيان ٧٤٢/١٣.

[٥] تفسير القرآن العظيم ٥٢٢/٤.

قولهﷺ في قوله: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾[١]: (الْأَظْهَرُ أَنَّ الضَّمِيرَ فِي ﴿أُعِدَّتْ﴾ عَائِدٌ إِلَى النَّارِ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ، وَيُحْتَمَلُ عَوْدُهُ عَلَى الْحِجَارَةِ -كَمَا قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ- وَلَا مُنَافَاةَ بَيْنَ الْقَوْلَيْنِ فِي الْمَعْنَى؛ لِأَنَّهُمَا مُتَلَازِمَانِ)[٢].

وقولهﷺ في قوله: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ﴾[٣]: (قِيلَ: عَلَى حُبِّ اللَّهِ -تَعَالَى-، وَجَعَلُوا الضَّمِيرَ عَائِدًا إِلَى اللَّهِﷻ لِدَلَالَةِ السِّيَاقِ عَلَيْهِ، وَالْأَظْهَرُ أَنَّ الضَّمِيرَ عَائِدٌ عَلَى الطَّعَامِ، أَيْ: وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ فِي حَالِ مَحَبَّتِهِمْ وَشَهْوَتِهِمْ لَهُ، قَالَهُ مُجَاهِدٌ، وَمُقَاتِلٌ، وَاخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ، كَقَوْلِهِ -تَعَالَى-: ﴿وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ﴾[٤]، وَكَقَوْلِهِ -تَعَالَى-: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[٥])[٦].

●ذكر الفوارق اللغوية بين المترادفات مع الاستشهاد بالشعر.

وهذا من أدق خصائص اللغة العربية وسماتها؛ حيث توجد فروق شتى بين الألفاظ المترادفات فيها، وإذا كان شأنها كذلك فما بالنا بألفاظ القرآن الكريم؟ لا ريب أنها ستكون أكثر دقة وأعظم فرقا؛ لأن كل لفظة فيه لها معناها الخاص بها، ولا تؤديه غيرها بتاتا، ولن نطيل الكلام في ذلك فليس هذا موطنه، وحسبنا أن شيخناﷺ أبان عن ذلك في تفسيره، واستشهد له بشعر العرب ليزيد الأمر جلاء فوق جلاء، وثراء

---

[١] البقرة:٢٤.

[٢] تفسير القرآن العظيم ٢٠٢/١.

[٣] الإنسان:٨.

[٤] البقرة:١٧٧.

[٥] آل عمران:٩٢.

[٦] تفسير القرآن العظيم ٢٨٨/٨.

فوق ثراء، ومما جاء في تفسيره: قوله: (وَأَصْلُ النَّزْغِ: الْفَسَادُ، إِمَّا بِالْغَضَبِ أَوْ غَيْرِهِ، قَالَ اللَّهُ -تَعَالَى-: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزغُ بَيْنَهُمْ﴾[١]، وَالْعِيَاذُ: الِالْتِجَاءُ وَالِاسْتِنَادُ وَالِاسْتِجَارَةُ مِنَ الشَّرِّ، وَأَمَّا الْمَلَاذُ: فَفِي طَلَبِ الْخَيْرِ، كَمَا قَالَ أَبُو الطِّيبِ الْمُتَنَبِّي: يَا مَنْ ألوذُ بِهِ فيمَا أؤمِّلُه ... وَمَنْ أعوذُ بِهِ مِمَّا أحَاذرُه

لَا يَجْبر النَّاسُ عَظمًا أَنْتَ كاسرُه ... وَلَا يَهِيضُون عَظمًا أَنْتَ جَابِره[٢])[٣].

وقوله: (وَقَوْلُهُ: ﴿وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾[٤] أَيْ: لَا تَلْمِزُوا النَّاسَ، والهمَّاز: اللَّماز مِنَ الرِّجَالِ مَذْمُومٌ مَلْعُونٌ، كَمَا قَالَ -تَعَالَى-: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾[٥]، فَالْهَمْزُ فَالْهَمْزُ بِالْفِعْلِ، وَاللَّمْزُ بِالْقَوْلِ، كَمَا قَالَ: ﴿هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾[٦] أَيْ: يَحْتَقِرُ النَّاسَ وَيَهْمِزُهُمْ طَاعِنًا عَلَيْهِمْ، وَيَمْشِي بَيْنَهُمْ بِالنَّمِيمَةِ، وَهِيَ: اللَّمْزُ بِالْمَقَالِ؛ وَلِهَذَا قَالَ -هَاهُنَا-:

---

[١] الإسراء:٥٣.

[٢] راجع: ديوان المتنبي ٢/٢٧٢، وذكر البيتين -أيضا- الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية ١١/٢٧٥، وقال: وقد بلغني عن شيخنا العلامة شيخ الإسلام أحمد بن تيمية أنه كان ينكر على المتنبي هذه المبالغة في مخلوق ويقول: إنما يصلح هذا لجناب الله، وأخبرني العلامة شمس الدين ابن قيم أنه سمع الشيخ تقي الدين المذكور يقول: ربما قلت هذين البيتين في السجود أدعو الله بما تضمناه من الذل والخضوع.

[٣] تفسير القرآن العظيم ٣/٥٣٣.

[٤] الحجرات:١١.

[٥] الهمزة:١.

[٦] القلم:١١.

﴿وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾، كَمَا قَالَ: ﴿وَلا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾[١] أَيْ: لَا يَقْتُلْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا)[٢].

●التصريح بذكر لغات بعض العرب، والاستشهاد لها من الشعر.

وهذا يدل على براعته﵀ في اللغة، وإحاطته بها وبأصحابها، فهو لا يكتفي بذكر اللغة وحدها، بل يذكر أربابها الذين نطقوا بها ويستشهد لها من الشعر -أيضا-، وأكثر من ذلك في تفسيره، ومما ذكره: قوله﵀ في قوله: ﴿لأوتَيَنَّ مَالا وَوَلَدًا﴾[٣]: (قَرَأَ بَعْضُهُمْ بِفَتْحِ الْوَاوِ مِنْ ﴿وَلَدًا﴾ وَقَرَأَ آخَرُونَ بِضَمِّهَا، وَهُوَ بِمَعْنَاهُ، قَالَ رُؤْبَةُ:

الحَمْدُ للهِ الْعَزِيزِ فَرْدًا ... لَمْ يَتَّخِذْ مِنْ وُلْد شَيْءٍ وُلْدا[٤]

وَقَالَ الْحَارِثُ بْنُ حِلِّزَةَ: وَلَقَد رأيتُ معَاشرًا ... قَدْ تمرُوا مَالًا وَولْدا[٥]

وَقَالَ الشَّاعِرُ: فَلَيت فُلانًا كانَ فِي بَطْن أُمِّهِ ... وَليتَ فُلانًا كَانَ وُلْد حِمَار[٦]

وَقِيلَ: إِنَّ الوُلْد -بِالضَّمِّ- جَمْعٌ، والوَلَد -بِالْفَتْحِ- مُفْرَدٌ، وَهِيَ لُغَةُ قَيْسٍ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ)[٧].

---

[١] النساء:٢٩.

[٢] تفسير القرآن العظيم ٣٧٦/٧.

[٣] مريم:٧٧.

[٤] البيت في جامع البيان ٢٤٧/١٨.

[٥] البيت في اللسان ٤٦٨/٣، وتهذيب اللغة ١٢٥/١٤.

[٦] البيت في اللسان ٤٦٨/٣، وتهذيب اللغة ١٢٦/١٤.

[٧] تفسير القرآن العظيم ٢٦٠/٥.

وقوله في قوله: ﴿سَلامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ﴾[١]: (كَمَا يُقَالُ فِي إِسْمَاعِيلَ: إِسْمَاعِينُ، وَهِيَ لُغَةُ بَنِي أَسَدٍ، وَأَنْشَدَ بَعْضُ بَنِي نُمَيْرٍ فِي ضَبِّ صَادَه: يَقُولُ رَبّ السُّوقِ لَمَّا جِينَا ... هَذَا وربِّ الْبَيْتِ إِسْرَائينا[٢]

وَيُقَالُ: مِيكَالُ، وَمِيكَائِيلُ، وَمِيكَائِينُ، وَإِبْرَاهِيمُ وَإِبْرَاهَامُ، وَإِسْرَائِيلُ وَإِسْرَائِينُ، وَطُورُ سَيْنَاءَ، وَطُورُ سِينِينَ، وَهُوَ مَوْضِعٌ وَاحِدٌ، وَكُلُّ هَذَا سَائِغٌ)[٣].

●ذكر نوع الاستثناء في كثير من الآي وبيان معناه.

ولا سيما الاستثناء المنقطع فقد أكثر من بيانه وتجليته من الآي في تفسيره، كما بين المعنى المترتب عليه – أيضا–، ومن ذلك: قوله في قوله: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[٤]: (أَيْ: فَأَخْبِرْهُمْ –يَا مُحَمَّدُ– بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا، وَقَوْلُهُ: ﴿إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾[٥] هَذَا اسْتِثْنَاءٌ مُنْقَطِعٌ، يَعْنِي: لَكِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا –أَيْ: بِقُلُوبِهِمْ– وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِجَوَارِحِهِمْ ﴿لَهُمْ أَجْرٌ﴾ أَيْ: فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ، ﴿غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: غَيْرُ مَنْقُوصٍ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ وَالضَّحَّاكُ: غَيْرُ مَحْسُوبٍ)[٦].

وقوله في قوله: ﴿إِلا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[٧]: (هَذَا اسْتِثْنَاءٌ مُنْقَطِعٌ، وَفِيهِ بِشَارَةٌ عَظِيمَةٌ لِلْبَشَرِ، وَذَلِكَ أَنَّ مَنْ كَانَ عَلَى عَمَلِ شَيْءٍ

---

[١] الصافات:١٣٠.

[٢] راجع: اللسان ٣٢٣/١٣، وفيه: قالتْ وكنتُ رَجُلًا فَطِينَا ... هَذَا لَعَمْرُ اللهِ إِسْرائينا.

[٣] تفسير القرآن العظيم ٣٧/٧.

[٤] الانشقاق:٢٤.

[٥] الانشقاق:٢٥.

[٦] تفسير القرآن العظيم ٣٦٢/٨.

[٧] النمل:١١.

ثُمَّ أَقْلَعَ عَنْهُ وَرَجَعَ وَأَنَابَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ، كَمَا قَالَ -تَعَالَى-: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾[١]، وَقَالَ -تَعَالَى-: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[٢] وَالْآيَاتُ فِي هَذَا كَثِيرَةٌ جِدًّا)[٣].

●ذكر بعض الصور البلاغية وتجلية أسرارها.

وقد أفادﷺ في ذلك أيما إفادة؛ حيث يذكر الصورة البلاغية ويجليها أيما جلاء، سواء أكانت الصورة تشبيها، أم استعارة، أم لفا ونشرا، أم غير ذلك...، ومن ذلك: ما ذكره في صورة التشبيه إذ يقولﷺ في قوله: ﴿مَثَلُ نُورِهِ﴾[٤]: (مَثَلُ نُورِ الْمُؤْمِنِ الَّذِي فِي قَلْبِهِ كَمِشْكَاةٍ، فَشَبَّهَ قَلْبَ الْمُؤْمِنِ وَمَا هُوَ مَفْطُورٌ عَلَيْهِ مِنَ الْهُدَى وَمَا يَتَلَقَّاهُ مِنَ الْقُرْآنِ الْمُطَابِقِ لِمَا هُوَ مَفْطُورٌ عَلَيْهِ، كَمَا قَالَ -تَعَالَى-: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾[٥]، فَشَبَّهَ قَلْبَ الْمُؤْمِنِ فِي صَفَائِهِ فِي نَفْسِهِ بِالْقِنْدِيلِ مِنَ الزُّجَاجِ الشَّفَّافِ الْجَوْهَرِيِّ، وَمَا يَسْتَهْدِيهِ مِنَ الْقُرْآنِ وَالشَّرْعِ بِالزَّيْتِ الْجَيِّدِ الصَّافِي الْمُشْرِقِ الْمُعْتَدِلِ، الَّذِي لَا كَدَرَ فِيهِ وَلَا انْحِرَافَ)[٦].

---

[١] طه:٨٢.

[٢] النساء:١١٠.

[٣] تفسير القرآن العظيم ١٨٠/٦.

[٤] النور:٣٥.

[٥] هود:١٧.

[٦] تفسير القرآن العظيم ٥٨/٦.

وفي صورة الاستعارة في قوله:﴿فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ﴾[١] يقول: (إِسْنَادُ الْإِرَادَةِ -هَاهُنَا- إِلَى الْجِدَارِ عَلَى سَبِيلِ الِاسْتِعَارَةِ، فَإِنَّ الْإِرَادَةَ فِي الْمُحْدَثَاتِ بِمَعْنَى الْمَيْلِ، وَالِانْقِضَاضُ هُوَ: السُّقُوطُ)[٢].

ويقول في اللف والنشر في قوله: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[٣]: (هَذَا مِنْ بَابِ اللَّفِّ وَالنَّشْرِ، أَيْ: وَاحِدٌ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ مُبْطِلٌ، وَالْآخَرُ مُحِقٌّ، لَا سَبِيلَ إِلَى أَنْ تَكُونُوا أَنْتُمْ وَنَحْنُ عَلَى الْهُدَى أَوْ عَلَى الضَّلَالِ، بَلْ وَاحِدٌ مِنَّا مُصِيبٌ، وَنَحْنُ قَدْ أَقَمْنَا الْبُرْهَانَ عَلَى التَّوْحِيدِ، فَدَلَّ عَلَى بُطْلَانِ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الشِّرْكِ بِاللَّهِ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾)[٤].

●الاحتجاج باللغة في كثير من المواطن.

ما بين رد لمعنى، أو ترجيح لآخر، وتعليل كل من الناحية اللغوية -أيضا-، ومن ذلك: قوله في قوله: ﴿أوبي﴾[٥]: (وَزَعَمَ أَبُو مَيْسَرَةَ أَنَّهُ بِمَعْنَى سَبِّحي بِلِسَانِ الْحَبَشَةِ، وَفِي هَذَا نَظَرٌ؛ فَإِنَّ التَّأْوِيبَ فِي اللُّغَةِ هُوَ التَّرْجِيعُ، فَأُمِرَتِ الْجِبَالُ وَالطَّيْرُ أَنْ تُرَجِّعَ مَعَهُ بِأَصْوَاتِهَا)[٦].

---

[١] الكهف:٧٧.

[٢] تفسير القرآن العظيم ١٨٤/٥.

[٣] سبأ:٢٤.

[٤] تفسير القرآن العظيم ٥١٧/٦.

[٥] سبأ:١٠.

[٦] تفسير القرآن العظيم ٤٩٧/٦.

وقوله﵀: (وَهَكَذَا قَوْلُهُ: ﴿وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا﴾[١] قَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿طَحَاهَا﴾ دَحَاهَا، وَقَالَ الْعَوْفِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿وَمَا طَحَاهَا﴾ أَيْ: خَلَقَ فِيهَا، وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿طَحَاهَا﴾ قَسَمَهَا، وَقَالَ مُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ وَالضَّحَّاكُ والسُّدِّي وَالثَّوْرِيُّ وَأَبُو صَالِحٍ وَابْنُ زَيْدٍ: ﴿طَحَاهَا﴾ بَسَطَهَا، وَهَذَا أَشْهَرُ الْأَقْوَالِ، وَعَلَيْهِ الْأَكْثَرُ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ، وَهُوَ الْمَعْرُوفُ عِنْدَ أَهْلِ اللُّغَةِ، قَالَ الْجَوْهَرِيُّ: طَحَوْتُهُ مِثْلُ دَحَوْتُهُ، أَيْ: بَسَطْتُهُ)[٢].

●إجمال ما يتعلق باللغة في بعض المواطن، وعدم البسط أو التوسع، وتعليل ذلك.

ومن ذلك: ما ذكره﵀ في قولهﷻ: ﴿وَأَنزلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾[٣]: (أَيْ: آلَةً يُتَطَهَّرُ بِهَا، كالسَّحُور وَالْوَقُودِ وَمَا جَرَى مَجْرَاهُ، فَهَذَا أَصَحُّ مَا يُقَالُ فِي ذَلِكَ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: إِنَّهُ فَعُولٌ بِمَعْنَى فَاعِلٍ، أَوْ: إِنَّهُ مَبْنِيٌّ لِلْمُبَالَغَةِ أَوِ التَّعَدِّي، فَعَلَى كُلٍّ مِنْهُمَا إِشْكَالَاتٌ مِنْ حَيْثُ اللُّغَةُ وَالْحُكْمُ، لَيْسَ هَذَا مَوْضِعَ بَسْطِهَا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ)[٤].

وما ذكره في قوله: ﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَى﴾[٥] حيث يقول﵀: (أَيْ: تَنَاجَوْا فِيمَا بَيْنَهُمْ ﴿قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾[٦] هَذِهِ لُغَةٌ لِبَعْضِ الْعَرَبِ، جَاءَتْ هَذِهِ الْقِرَاءَةُ عَلَى

---

[١] الشمس:٦.

[٢] تفسير القرآن العظيم ٨/٤١١.

[٣] الفرقان:٤٨.

[٤] تفسير القرآن العظيم ٦/١١٤، ١١٥.

[٥] طه:٦٢.

[٦] طه:٦٣.

إِعْرَابِهَا، وَمِنْهُمْ مَنْ قَرَأَ: إِنْ هَذَينِ لَسَاحِرَانِ، وَهَذِهِ اللُّغَةُ الْمَشْهُورَةُ، وَقَدْ تَوَسَّعَ النُّحَاةُ فِي الْجَوَابِ عَنِ الْقِرَاءَةِ الْأَوْلَى بِمَا لَيْسَ هَذَا مَوْضِعه)[١].

●أنه يعرض لاستعمال بعض الكلمات أو الحروف بدل بعض، والاستشهاد بالشعر على ذلك.

وهذا من جمال اللغة وروعتها في إنابة بعض الكلمات والحروف عن بعض، وهذا ما جاء في التنزيل العزيز -أيضا-، ولكن يبقى لكل السر في التعبير به في موضعه، وقد عرض شيخنا﵀ لهذه الإنابة في تفسيره، ومن ذلك:

قوله﵀ في قوله: ﴿كُلُّ أُولَئِكَ﴾[٢]: (أَيْ: هَذِهِ الصِّفَاتُ مِنَ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَالْفُؤَادِ ﴿كَانَ عَنْهُ مَسْئُولا﴾ أَيْ: سَيُسْأَلُ الْعَبْدُ عَنْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وتُسأل عَنْهُ وَعَمَّا عَمِلَ فِيهَا، وَيَصِحُّ اسْتِعْمَالُ ﴿أُولَئِكَ﴾ مَكَانَ تِلْكَ، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ: ذُمَّ المَنَازِلَ بَعْدَ مَنزلة اللِّوَى ... وَالْعَيْش بَعْدَ أولئِكَ الْأَيَّامِ[٣])[٤].

وقوله﵀: (ثُمَّ ذَكَرَ -تَعَالَى- نِعْمَتَهُ عَلَى عَبِيدِهِ فِي حِفْظِهِ لَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَكِلَاءَتِهِ وَحِرَاسَتِهِ لَهُمْ بِعَيْنِهِ الَّتِي لَا تَنَامُ، فَقَالَ: ﴿قُلْ مَنْ يَكْلَؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾[٥]؟ أَيْ: بَدَلَ الرَّحْمَنِ، بِمَعْنَى غَيْرِهِ، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ: جَارية لَمْ تَلْبَس المرقَّقا ... ... وَلَم تَذق منَ البُقول الفُسْتُقا[٦]، أَيْ: لَمْ تَذُقْ بَدَلَ الْبُقُولِ الْفُسْتُقَا)[٧].

---

[١] تفسير القرآن العظيم ٣٠١/٥.

[٢] الإسراء:٣٦.

[٣] البيت لجرير في ديوانه ص:٩٩٠، وفيه "الأقوام" بدل "الأيام"، ومعاني القرآن ٩٧/١، وخزانة الأدب ٥/ ٤٣٠، واللسان ٤٣٧/١٥، وجامع البيان ٦٢/١٥.

[٤] تفسير القرآن العظيم ٧٥/٥.

[٥] الأنبياء:٤٢.

[٦] البيت في اللسان ٦١/١١ بلفظ برِّية لم تأكل المرققا، وتاج العروس ٣٠٢/٢٦.

[٧] تفسير القرآن العظيم ٣٤٤/٥.

المبحث الثالث

الأمور التي أوجز فيها الحافظ﵀ واختصر.

وهذه الأمور تكاد تكون قليلة؛ حيث لم يطل الحافظ﵀ الكلام فيها... ومن ذلك ما يلي:

- **الإحالة إلى كتب اللغة –أحيانا– وتعليل ذلك.**

كما في قوله﵀: (وَفِي جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ لُغَاتٌ وَقِرَاءَاتٌ، تُذْكَرُ فِي كُتُبِ اللُّغَةِ وَالْقِرَاءَاتِ، وَلَمْ نُطَوِّلْ كِتَابَنَا هَذَا بسَرد ذَلِكَ، إِلَّا أَنْ يَدُورَ فَهْمُ الْمَعْنَى عَلَيْهِ، أَوْ يَرْجِعَ الْحُكْمُ فِي ذَلِكَ إِلَيْهِ، وَبِاللَّهِ الثِّقَةُ، وَهُوَ الْمُسْتَعَانُ)[١].

- **ذكر ما يعتري بعض الألفاظ من إعلال.**

وهذا باب من أبواب علم الصرف، والذي يُعنى ببيان التغيير الذي يحدث في بعض حروف العلة الموجودة في كلمة ما، سواء أكان بتسكينها أم نقلها أم حذفها أم قلبها، وشيخنا﵀ يذكر الخطوات التي يتناولها اللغويون في ذلك، ويذكر وزن الكلمة، وعلة ذلك، وأقوال أهل اللغة، والاستشهاد على ما يذكره من أشعار العرب، ومن ذلك:

قوله﵀: (وَقَدْ قَرَأَ الْجَمِيعُ ﴿مَعَايِش﴾[٢] بِلَا هَمْزٍ، إِلَّا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ هُرْمُز الْأَعْرَجَ فَإِنَّهُ هَمَزَهَا، وَالصَّوَابُ الَّذِي عَلَيْهِ الْأَكْثَرُونَ بِلَا هَمْزٍ؛ لِأَنَّ مَعَايِشَ جَمْعُ مَعِيشَةٍ، مِنْ عَاشَ يَعِيشُ عَيْشًا، وَمَعِيشَةٌ أَصْلُهَا "مَعْيِشَة" فَاسْتُثْقِلَتِ الْكَسْرَةُ عَلَى الْيَاءِ، فَنُقِلَتْ إِلَى الْعَيْنِ فَصَارَتْ مَعِيشة، فَلَمَّا جُمِعَتْ رَجَعَتِ الْحَرَكَةُ إِلَى الْيَاءِ لِزَوَالِ الِاسْتِثْقَالِ، فَقِيلَ: مَعَايِشُ،

---

[١] تفسير القرآن العظيم ١/٣٤٣.

[٢] الحجر: ٢٠.

وَوَزْنُهُ مَفَاعِلُ؛ لِأَنَّ الْيَاءَ أَصْلِيَّةٌ فِي الكلمة، بخلاف مدائن وَصَحَائِفَ وَبَصَائِرَ، جَمْعِ مَدِينَةٍ وَصَحِيفَةٍ وَبَصِيرَةٍ مِنْ: مَدَنَ وَصَحَفَ وَأَبْصَرَ، فَإِنَّ الْيَاءَ فِيهَا زَائِدَةٌ، وَلِهَذَا تُجْمَعُ عَلَى فَعَائِلَ، وَتُهْمَزُ لِذَلِكَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ)[1].

وقوله﵀: (وَأَمَّا الْآيَةُ: فَمِنَ العلامَةِ عَلَى انْقِطَاعِ الْكَلَامِ الَّذِي قَبْلَهَا عَنِ الَّذِي بَعْدَهَا وَانْفِصَالِهِ، أَيْ: هِيَ بَائِنَةٌ مِنْ أُخْتِهَا، قَالَ اللَّهُ -تَعَالَى-: ﴿إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ﴾[2]، وَقَالَ النَّابِغَةُ:

تَوَهَّمْتُ آياتٍ لَهَا فَعَرَفْتُها ... لستَّةِ أعوامٍ وَذَا العامُ سابعُ[3]

وَقِيلَ: لِأَنَّهَا جماعةُ حروفٍ مِنَ الْقُرْآنِ وَطَائِفَةٌ مِنْهُ، كَمَا يُقَالُ: خَرَجَ الْقَوْمُ بِآيَتِهِمْ، أَيْ: بِجَمَاعَتِهِمْ، قَالَ الشَّاعِرُ: خَرَجْنَا مِنَ النَّقبين لَا حَيَّ مِثلُنا ... بِآيَتِنَا نزجِي اللقاحَ المِطَافِلا[4]

وَقِيلَ: سُمِّيت آيَةً؛ لِأَنَّهَا عَجَبٌ يَعْجِز الْبَشَرُ عَنِ التَّكَلُّمِ بِمِثْلِهَا، قَالَ سِيبَوَيْهِ: وَأَصْلُهَا أَيِيَة، مِثْلُ أَكَمَة وشَجَرَة، تحرَّكت الياءُ وافتتح مَا قَبْلَهَا فَقُلِبَتْ أَلِفًا فَصَارَتْ آيَةً، بِهَمْزَةٍ بَعْدَهَا مَدَّةٌ، وَقَالَ الْكِسَائِيُّ: آيِيَة عَلَى وَزْنِ آمِنة، فَقُلِبت أَلِفًا، ثُمَّ حُذفت

---

[1] تفسير القرآن العظيم ٣/٣٩٠، ٣٩١.

[2] البقرة:٢٤٨.

[3] البيت للنابغة في ديوانه ص:٣١، وخزانة الأدب ٢/ ٤٥٣، واللسان ٥٦٩/٤، والجامع لأحكام القرآن ١/ ٦٦.

[4] البيت في اللسان ٦٢/١٤، ومعجم مقاييس اللغة ١/ ١٦٩، وزاد المسير لابن الجوزي ٥٩/١، والجامع لأحكام القرآن ١/ ٦٦.

لِالْتِبَاسِهَا، وَقَالَ الفَرَّاء: أَصْلُهَا أَيَّة -بِتَشْدِيدِ الْيَاءِ- فَقُلِبَت الْأُولَى أَلِفًا كراهيةَ التَّشْدِيدِ فَصَارَتْ آيَةً، وجمعُها: آىٌ وآياىٌ وآياتٌ)[١].

●ذكر أوزان بعض الكلمات ومعانيها، وبيان الراجح منها.

ومن ذلك: قوله﵀: (والرّجيم: فَعِيلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ، أَيْ: أَنَّهُ مَرْجُومٌ مَطْرُودٌ عَنِ الْخَيْرِ كُلِّهِ، كَمَا قَالَ -تَعَالَى-: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾[٢]، وَقَالَ -تَعَالَى-: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ*وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ*لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلإِ الأعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ*دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ*إِلا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾[٣]، وَقَالَ -تَعَالَى-: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ*وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ*إِلا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ﴾[٤]، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ، وَقِيلَ: رَجِيمٌ بِمَعْنَى رَاجِمٍ؛ لِأَنَّهُ يَرْجُمُ النَّاسَ بِالْوَسَاوِسِ وَالرَّبَائِثِ، وَالْأَوَّلُ أَشْهَرُ)[٥].

●أنه يذكر الغرض من تقديم بعض الألفاظ، وأنواع التعدي فيها ومعانيها.

أما الغرض من تقديم بعض الألفاظ: ففي قوله﵀: (وَقُدِّمَ الْمَفْعُولُ وَهُوَ ﴿إِيَّاكَ﴾[٦]، وَكُرِّرَ لِلِاهْتِمَامِ وَالْحَصْرِ، أَيْ: لَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاكَ، وَلَا نَتَوَكَّلُ إِلَّا عَلَيْكَ، وَهَذَا

---

[١] تفسير القرآن العظيم ١/١٠٠.

[٢] الملك:٥.

[٣] الصافات:٦: ١٠.

[٤] الحجر:١٦: ١٨.

[٥] تفسير القرآن العظيم ١/١١٦، والربائث هي: الموانع التي تمنع من الخير، وهي جمع ربيثة، وهي المانعة من الخير، فهو يرجم الناس بالوساوس وموانع الخير.

[٦] الفاتحة:٥.

وَهَذَا هُوَ كَمَالُ الطَّاعَةِ، وَالدِّينُ يَرْجِعُ كُلُّهُ إِلَى هَذَيْنِ الْمَعْنَيَيْنِ، وَإِنَّمَا قَدَّمَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ عَلَى ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾؛ لِأَنَّ الْعِبَادَةَ لَهُ هِيَ الْمَقْصُودَةُ، وَالِاسْتِعَانَةُ وَسِيلَةٌ إِلَيْهَا، وَالِاهْتِمَامُ وَالْحَزْمُ هُوَ أَنْ يُقَدَّمَ مَا هُوَ الْأَهَمُّ فَالْأَهَمُّ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ)[١].

وأما ذكر أنواع التعدي في الكلمة وبيان المراد من كل فمنها: قوله: (وَالْهِدَايَةُ -هَاهُنَا[٢]-: الْإِرْشَادُ وَالتَّوْفِيقُ، وَقَدْ تَعَدَّى الْهِدَايَةُ بِنَفْسِهَا -كَمَا هُنَا- ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[٣] فَتَضَمَّنَ مَعْنَى أَلْهِمْنَا، أَوْ وَفِّقْنَا، أَوِ ارْزُقْنَا، أَوِ اعْطِنَا، ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾[٤] أَيْ: بَيَّنَّا لَهُ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ، وَقَدْ تَعَدَّى بِإِلَى، كَقَوْلِهِ -تَعَالَى-: ﴿اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[٥]، ﴿فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾[٦]، وَذَلِكَ بِمَعْنَى الْإِرْشَادِ وَالدَّلَالَةِ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ -تَعَالَى-: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[٧]، وَقَدْ تَعَدَّى بِاللَّامِ، كَقَوْلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا﴾[٨] أَيْ: وَفَّقَنَا لِهَذَا وَجَعَلَنَا لَهُ أَهْلًا)[٩].

---

[١] تفسير القرآن العظيم ١/١٣٤، ١٣٥.

[٢] أي: في قوله: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.

[٣] الفاتحة:٦.

[٤] البلد:١٠.

[٥] النحل:١٢١.

[٦] الصافات:٢٣.

[٧] الشورى:٥٢.

[٨] الأعراف:٤٣.

[٩] تفسير القرآن العظيم ١/١٣٧.

●أنه يرد باللغة على بعض الفرق.

كما في رده بعود الضمير على الظاهرية في قوله -تعالى-: ﴿إِلا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ﴾[١] حيث يقول رحمه الله: (وَقَوْل ﴿وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ﴾ يَعْنِي: إِنْسِيه وَوَحْشِيه، وَاللَّحْمُ يَعُمُّ جَمِيعَ أَجْزَائِهِ حَتَّى الشَّحْم، وَلَا يَحْتَاجُ إِلَى تَحَذْلُقِ الظَّاهِرِيَّةِ فِي جُمُودِهِمْ -هَاهُنَا- وَتَعَسُّفِهِمْ فِي الِاحْتِجَاجِ بِقَوْلِهِ: ﴿فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا﴾ يَعْنُونَ قَوْلَهُ -تَعَالَى-: ﴿إِلا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ﴾ أَعَادُوا الضَّمِيرَ فِيمَا فَهِمُوهُ عَلَى الْخِنْزِيرِ، حَتَّى يَعُمَّ جَمِيعَ أَجْزَائِهِ، وَهَذَا بَعِيدٌ مِنْ حَيْثُ اللُّغَة؛ فَإِنَّهُ لَا يَعُودُ الضَّمِيرُ إِلَّا إِلَى الْمُضَافِ دُونَ الْمُضَافِ إِلَيْهِ، وَالْأَظْهَرُ أَنَّ اللَّحْمَ يَعُمُّ جَمِيعَ الْأَجْزَاءِ، كَمَا هُوَ الْمَفْهُومُ مِنْ لُغَةِ الْعَرَبِ)[٢].

●التعليل لاشتقاق بعض الألفاظ اللغوية، والاستشهاد لها من الشعر.

وذلك في قوله رحمه الله: (وَالْعَالَمُ مُشْتَقٌّ مِنَ الْعَلَامَةِ، (قُلْتُ): لِأَنَّهُ عِلْمٌ دَالٌّ عَلَى وُجُودِ خَالِقِهِ وَصَانِعِهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ، كَمَا قَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ: فَيَا عَجَبًا كَيْفَ يُعْصَى الْإِلَهُ ... أَمْ كَيْفَ يَجْحَدُهُ الْجَاحِدُ وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَة ... تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدُ)[٣].

●أنه ينقل عن اللغويين أقوالهم في الأضداد.

ومثال ذلك ما نقله عن الإمام الكسائي حيث قال رحمه الله في قوله: ﴿تَفَكَّهُونَ﴾[٥] بعد أن ذكر المراد منه: (وَقَالَ عِكْرِمَةُ: ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ تُلَاوِمُونَ، وَقَالَ الْحَسَنُ،

---

[١] الأنعام:١٤٥.

[٢] تفسير القرآن العظيم ١٦/٣.

[٣] راجع: ديوان أبي العتاهية ص:١٠٤، وتاج العروس ٤٣٤/٣٦ .

[٤] تفسير القرآن العظيم ١٣٣/١.

[٥] الواقعة:٦٥.

وَقَتَادَةُ، وَالسُّدِّيُّ: ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ تَنْدَمُونَ، وَمَعْنَاهُ إِمَّا عَلَى مَا أَنْفَقْتُمْ، أَوْ عَلَى مَا أَسْلَفْتُمْ مِنَ الذُّنُوبِ، قَالَ الْكِسَائِيُّ: تَفَكَّهَ مِنَ الْأَضْدَادِ، تَقُولُ الْعَرَبُ: تَفَكَّهْتُ بِمَعْنَى: تَنَعَّمْتُ، وَتَفَكَّهْتُ بِمَعْنَى: حَزِنْتُ)[١].

وفي هذا غنية وكفاية، وآية ساطعة على ما أصلناه وابتغيناه من بحثنا... وهو تجلية ما في تفسير الحافظ ابن كثير﵀ من أمور لغوية إجمالية، تدل -بلا ريب- على مرونة تراثنا، وإمكانية تجديده، دون المساس بركائزه وقواعده، وتلك ميزة تضاف لهذا التراث الجليل ينبغي أن نجليها لكل الناس بصدق ووفاء وإخلاص... والله الموفق.

---

[١] تفسير القرآن العظيم ٧/٥٤١.

الخاتمة –نسأل الله حسنها–

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

وبعد

فبعد هذه المعايشة في رحاب تلكم النظرات اللغوية الإجمالية لشيخنا النحرير الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيره يطيب لنا أن نسجل –بين يدي القارئ المفضال– ما توصلنا إليه من نتائج وتوصيات:

أما النتائج فمنها:

* أن الحافظ ابن كثير رحمه الله عالم كبير، ومفسر نحرير، ورجل همام، وحافظ إمام، ذو همة عالية، وإرادة سامية، له باع طويل في شتى العلوم، لا سيما في اللغة العربية بشتى علومها، ومقامه فيها يكاد يسامق مقام النجوم .....

* أن علم التفسير علم شامل لكثير من العلوم: كاللغة والبلاغة والنحو والصرف وغيرها.

* أن للحافظ رحمه الله جهودا لغوية عديدة في تفسيره، منها: ما يتعلق بعلم النحو من حيث ضبط الكلمات وإعرابها وغير ذلك، ومنها: ما يتعلق بعلم الصرف من حيث الاشتقاق لأصول الألفاظ، ومنها: ما يتعلق بعلوم البلاغة وصورها، ومنها: ما يتعلق بالشعر من حيث الاستشهاد به في مواطن لا تعد ولا تحصى، ومنها: ما يتعلق بتعريف الألفاظ اللغوية، ومنها: ما يتعلق بالاحتجاج باللغة أو الرد على مزاعم أهلها، ومنها: ما يتعلق بالحذف والتقدير، ومنها: ما يتعلق بذكر إطلاقات بعض الكلمات واستعمالاتها، ومنها: ما يتعلق بالتصريح بأسماء أهل اللغة، وغير ذلك.

* أن هذا كله -وغيره كثير- يجعل تفسيره رحمه الله مصبوغا بالصبغة اللغوية الأصيلة -وإن كان معروفا بأنه أصل من أصول التفسير بالمأثور- وهذه صبغة جديدة تضاف إلى هذا المفسر النحرير وتفسيره الجليل.

* أن بعض المحققين لتفسيره رحمه الله قد ذكر أنه اعتمد في علوم اللغة على أربعة مصادر -قط- والحق أنه قد رجع إلى غيرها ولم يصرح بها، كما أنه اعتمد على لغويين آخرين لم يذكرهم -أيضا-.

* أن الأمور اللغوية والشواهد الشعرية أساس من أسس منهج الحافظ رحمه الله في تفسيره، وأنه اعتمد على اللغة العربية في فهم القرآن، فكان يأخذ في الاعتبار مقتضى الألفاظ، وأساليب اللغة، ودلالات الألفاظ، وشواهد الشعر التي تدل على المعنى، وتوضح المراد.

* أن العلامة ابن كثير رحمه الله قد أفاض في معظم الأمور اللغوية وأكثر منها في مواطن لا تعد ولا تحصى، على حين أوجز واختصر في مواضع أخر، وهي قليلة، تعد وتحصى، وكلها تدل دلالة قاطعة على باعه الطويل ونفسه الدقيق وتبحره العميق في فنون اللغة وصنوفها.

* أن ما عايناه من نظرات لغوية إجمالية وما ذكرناه من نماذج تطبيقية هو من باب التمثيل فحسب، وليس من باب الإحصاء أو الاستقصاء.

وأما التوصيات:

فينبغي علينا -كباحثين وطلاب علم- أن نميط اللثام ونكشف النقاب عن الجهود اللغوية لسائر المفسرين -ولا سيما الذين لم تعرف تفاسيرهم بكونها لغوية- وهي كثيرة جدا، حتى ندرك قدرهم، ونقف على جهودهم العديدة في التفسير وفي

اللغة وعلومها، وفي غير ذلك مما انطوت عليه التفاسير، وجهود العلماء الأفذاذ، التي لا تعد ولا تحصى.

وأخيرا: فهذا هو جهد المقل، وعمل الفقير -بين يدى القارئ المفضال- إن كان -أو وجد فيه- خيرا فهو من اللهﷻ وإليه، وفضل منه وفيض..... وإن كان غير ذلك فمنى ومن الشيطان، وحسبي أنني بشر، أصيب وأخطئ ما لم يحمني القدر.

والله -تعالى- أسأل أن يرضى به عنا، وأن يتقبله منا، وأن يجعله في ميزان حسناتنا، وأن يهب له القبول في الدنيا والآخرة..... وأن يجزى شيخنا الحافظ ابن كثيرﷺ خير الجزاء..... وأن يرحمه رحمة واسعة..... وأن يحشرنا وإياه وجميع أهل العلم ﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً﴾[1].

وصلى الله وسلم وأنعم وأكرم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

---

[1] النساء:٦٩.

فهرس محتويات البحث

الموضوع	رقم الصفحة
مقدمة: وتتضمن: أهمية الموضوع، وأهدافه، وخطته، ومنهجه.	١٠٩
تمهيد ويتضمن: التعريف بمفردات عنوان البحث.	١١٢
المبحث الأول: التعريف بالمؤلِّف والمؤلَّف.	١١٤
المبحث الثاني: الأمور التي أسهب فيها الحافظ ابن كثير رحمه الله وأكثر.	١٢٣
المبحث الثالث: الأمور التي أوجز فيها الحافظ ابن كثير رحمه الله واختصر.	١٤٧
الخاتمة: وتشمل: أهم النتائج والتوصيات.	١٥٣
فهرس محتويات البحث.	١٥٦